قال سبحانه وتعالى: «قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» يوسف 108.

قال ابن مسعود رضي الله عنه : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال : هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره وقال : هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه ثم قرأ : «وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»

تنبيه هام: إن هذه الجريدة تتضمن آيات من القرآن الكريم فالواجب عدم امتهانها

السبيل

جريدة أسبوعية مستقلة شاملة تصدر مرة في الشهر مؤقتا - المدير المسؤول: إبراهيم الطالب - رقم الإيداع القانوني: 2005/0096 - العدد 04 - 28 رمضان 1426 هـ الموافق لـ 01 نوفمبر 2005 م - الثمن 5 دراهم

أحكام العيد

- ولّى الحبيب وجاء العيد
- الهدي النبوي في زكاة الفطر
- العشرة الكاملة في نقض القيمة المالية

الصفحة: 20-21-22

العلماء والإرهاب والعلمانية

استطاع الاستعمار الفرنسي قبل أن يخرج مدحورا أن يترك وكيلا عنه يمرر خطابه على لسانه، ويطبق برامجه نيابة عنه، فوكّله وكالة عامة تمكنه أن يصول ويجول في كل الميادين دون أن يعارَض أو يُنتقد، ومن سوّلت له نفسه أن يعترض عليه أو ينتقد مخططاته ومشاريعه همّش ورُمِيَ بالرّجعيّ والمتطرف والمستبد والديكتاتوري.. ، وبالطبع يكون ذلك الوكيل هو التقدمي والمتنور والمناضل والمحرر والديمقراطي، لا لشيء سوى لكونه - حسب زعمه - يحمل "تنوّرا!!" الديمقراطية ويناضل من أجل حقوق الإنسان وإن أحرقت نارُ تنوّرِهِ ذاك إزار الدين والهوية، وجلباب الأخلاق والكرامة، فلا يهم ما دام يمارس حرية التعبير والرأي وحرية التفكير والنقد، فكلها حريات مكفولة دوليا وإقليميا ولا تعرف حدودا دينية أو عرفية.

- تتمة صفحة: 4

- ملف العدد -

الإرهاب

تقرؤون في هذا الملف:

- تعريف الإرهاب.
- من هم الإرهابيون تاريخيا؟
- تعظيم الدماء.
- الخوارج ومفاسد بدعتهم.
- أسباب التطرف الديني.
- الحرب على الإرهاب بين إكرهات الأمريكيين والاستغلال البشع من طرف العلمانيين.
- مقترحات ووصايا لحل معضلة التطرف.

الصفحات: 11 إلى 18

من عواقب البعد عن هدي السنة

- ياسين من الإحسان ! إلى الهذيان.

(الحلقة الأولى)

الصفحة: 5

مصابيح السبيل

- خطر تصدر الجهال على الأمة.
- السمات البارزة لكتابات الخوارج (أبو بصير نموذجا).

الصفحة: 8 - 9

تقرير "ميليس" والفخ الأمريكي لسوريا

الصفحة: 10

رياض النساء

- الولاية مغرم أم مغنم؟
- موقف الأئمة المالكية من مسمى الموضة والأزياء الغربية.

الصفحة: 6-7

الإرهاب الشيوعي وجنايته على البشرية

الصفحة: 28

"كلمة العدد"

توالت الأحداث، وتتابعت الوقائع، وكلما مرت الأيام إلا وأيقن الناس أن هذه الفتن لا تزداد إلا شدة، وتلك المحن لم يعد يُرى لها في الأفق انكشاف، وبين هذه الفتن والمحن قبعت الأمة تستجدي الحلول ممن لا يألونها خبالا، تستنير بمشورتهم فلا تزداد إلا ارتكاسا، وتعمل بنصائحهم فلا تجني إلا انتكاسا، حتى أصبح أبناؤها في يأس من أمرهم، تتناوشهم الأهواء وتتخاطفهم الأيدي في الظلماء.

إن داء التشتت والفُرقة لا يترك للمجتمع المصاب به أي قوة، يُضعِف جهاز المناعة لديه، فيتركه فريسة لأصحاب الأهواء والنعرات، فالفرقة والاختلاف هو داء الأمم، الذي ما أصيبت به أمة إلا تهاوت من عليائها، فتناثرت أشلاؤها شدر مدر، كأن لم تغن بالأمس، وبعد ذلك تأتي الأمم القمامة لتفترس ما صمد منها وتجهز عليه، فكما في عالم الحيوانات كائنات قمامة تعيش على الجيف وبقايا الفرائس، فكذلك الحال في عالم الأمم مهما ادعت محافظتها على حقوق الإنسان، وحراستها للحريات.

إن واقع أمتنا الراهن، تطبعه سمات بارزة لا ينفيها إلا مكابر، ولعل من أهمها، ذلك الذل والهوان الذي يحس به كل مَنْ بقيت في نفسه مسكة من عزة وأنفة، وحب لدينه وأمته، فالمرء ينتابه الإحباط عندما يرى أن العلماء ورثة الأنبياء يحتلون مكانة تصنف من حيث الأهمية بعد الموسيقيين والراقصات بمفاوز، سواء فيما يخص التسيير والولاية أو النصح والاستشارة، وحتى عندما يتعلق الأمر بالمواضيع التي يتهم فيها الدين وأصحابه يهمش العلماء المساكين، فلم نسمع صوتهم بعد أحداث الدار البيضاء الأليمة، ولم يوكل إليهم أي دور في حل معضلة التطرف، وإنما بلغتنا أصوات الفنانين تشدو بشعارات العلمانيين، وأعمال المسرحيين تصور للمواطنين أن الخطر المحدق بالمغرب هو خطر من يتبنى الإسلام منهج حياة، وملأ آذاننا نعيق - نستحيي أن نبدل العين هاء - العلمانيين يطالب بالاستئصال والإعدام، ونحن نتفهم ذلك ما دامت وسائل الإعلام موقوفة عليهم وعلى إبداعاتهم.

إن الواقع الذي نحياه الآن، لا يمكن فهمه، إلا بإعادة كتابة تاريخنا بأيدي علمائنا المؤرخين، حتى يرجع إلينا اعتزازنا بديننا وأجدادنا، ونضرب بعرض الحائط بحوث وأطروحات المستشرقين التي قُرّب إلينا منها ما يُزهّد شبابنا في دينه وربّه ونبيه صلى الله عليه وسلم، إن تلك الأطروحات وما تضمنته من شبهات وافتراءات، لم تترك مجالا من مجالات العلم والأدب والتاريخ إلا وأفسدته، تحت ما سموه بالبحث العلمي والنقد الموضوعي فلم نستفد منها إلا كراهية أبنائنا وبغضهم لعلمائهم وتنكرهم لهويتهم.

وللأسف الشديد بدل أن يقف مثقفونا موقف المنتصر لدينه وهويته، نجدهم وقد انبروا وخاصة العلمانيون منهم ينافحون عن افتراءات المستشرقين المنصرين، ويخلعون عليهم أوصاف النزاهة والعدالة التي سلبوها من الصحابة والتابعين ومن زكاه الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم.



يا شهر رمضان تَرَفَّقْ، دموع المحبين تَدَفَّقْ، قلوبهم من ألم الفراق تشقق، عسى وقفة الوداع تطفئ من نار الشوق ما أحرق، عسى ساعة توبة واقلاع ترفو من الصيام كل ما تخرق، عسى منقطع عن ركب المقبولين يَلْحَق، عسى من استوجب النار يُعْتَق، عسى رحمة المولى لها العاصي يوفق.

عسى وعسى من قبل وقت التفرق
إلى كل ما ترجو من الخير ترتقي
فيُجبر مكسور ويُقبل تائب
ويُعتق خطاء ويَسعد من شقي

يا من أعتقه مولاه من النار في هذا الشهر الكريم المعطار! إيّاك أن تعود بعد أن صرت حرا إلى رق الأوزار.

أيبعدك مولاك عن النار وأنت تتقرب دون فرار؟ ويُنْقِذك منها وأنت توقع نفسك فيها، فبئس القرار؟!

شهر تحن إليه قلوب المتقين، ومن ألم فراقه يعلو الأنين، فإن كنت صادقا فأطع ربك كل حين، واحذر أن تكون ممن يرجع إلى عصيانه بعد انقضائه، فلا أنت من المجتهدين، ولا من المتهجدين، اتق الله – أيها العبد– (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) "اليقين : الموت".

هل كنا ممن أحسن فيه فعمل على الإتمام؟ وهل إذا كنا ممن فرط فيه، يسعى لختمه بالحسنى، فالعمل بالختام؟ وهل اغتنمنا الطاعات فيه طيلة لياليه والأيام؟ هل نحن ممن استودع شهر رمضان بعمل صالح يشهد لنا عند الملك العلام؟ وهل نحن ممن يودعه بأزكى تحية وسلام؟

سلام من الرحمن كل أوان
على خير شهر قد مضى وزمان
سلام على شهر الصيام فإنه
أمان من الرحمن أي أمان
لئن فنيت أيامك الغر بغتة
فما الحزن من قلبي عليك بفان

كيف لا يجري للمؤمن على فراقه دموع، وهو لا يدري هل بقي له في عمره إليه رجوع.

تذكرت أياما مضت ولياليا
خلت فَجَرَتْ من ذكرهن دموع
ألا هل لها يوما من الدهر عودة
وهل لي إلى وقت الوصال رجوع
وهل بعد إعراض الحبيب تواصل
وهل لبدور قد أفَلْنَ طلوع

إذا كان هذا جزع من ربح فيه، فكيف حال من خسر في أيامه ولياليه؟ ماذا ينفع المفرطَ فيه بكاؤُه، وقد عظمت فيه مصيبته وجل عزاؤه؟، كم نُصح المسكين فما قبل النصح؟!، كم دعي إلى المصالحة فما أجاب إلى الصلح؟!، كم شاهد الواصلين فيه وهو متباعد؟!، كم مرت به زمر السائرين وهو قاعد؟!، حتى إذا ضاق به الوقت وحاق به المقت، ندم على التفريط حين لا ينفع الندم، وطلب الاستدراك في وقت العدم.

ماذا فات من فاته خير رمضان؟ وأيّ شيء أدرك من أدركه فيه الحرمان؟ كم بين من حظه فيه القبول والغفران، ومن كان حظه فيه الخيبة والخسران؟.

كل من لا يُثمر من الأشجار في أوان الثمار، فإنه يُقطع ثم يوقد في النار، من فرط في الزرع في وقت البذار لم يحصد يوم الحصاد غير الندم والخسار.

ترحل الشهر وا لهفاه وانصرما
واختص بالفوز في الجنات من خدما
وأصبح الغافل المسكين منكسرا
مثلي فيا ويحه، يا عظم ما حُرما
من فاته الزرع في وقت البذار فما
تراه يحصد إلا الهَمَّ والندما

مصادر بريطانية :
معنويات الجيش بالعراق في أدنى مستوياتها

ذكرت مصادر عسكرية بريطانية أن معنويات الجيش البريطاني بالعراق في أدنى مستوياتها منذ اجتياحه عام 2003.

وقد ازدادت هذه المعنويات تدهورًا بعد تصريحات بريطانية متتالية بأن الخروج من العراق لن يكون في الغد القريب، وشعور متزايد لدى الجنود البريطانيين بأن النزاع أصبح مفتوحًا ولا توجد هناك استراتيجية لإنهائه.

ووفق ما نقلت قناة الجزيرة عن "الإندبندنت" فقد توالت في الأيام الأخيرة أحداث تؤشر كلها على حالة الضغط النفسي التي تسيطر على أفراد القوات البريطانية بالعراق، والمقدر عددها بثمانية آلاف وخمسمائة على أساس أن كل واحد منهم يخدم فترة ستة أشهر.

فقد وُجد النقيب "كن ماسترز" أحد محققي الشرطة العسكرية مخنوقًا بإحدى ثكنات البصرة، في حادث اعتبر انتحارًا وقع تحت الضغط الذي كان يعانيه لاضطراره إلى التحقيق مع زملائه المتهمين بارتكاب تجاوزات بحق السجناء العراقيين.

كما أن الجندي "تروي صموئيلز" الذي تحول إلى بطل حرب ومنح الصليب العسكري قبل سبعة أشهر لشجاعته التي أبداها عند وقوعه بأحد الكمائن، قرر مغادرة الجيش بدل العودة في مهمة أخرى إلى العراق.

وأكثر من ذلك فإن ضابط القوات الجوية "مالكوم كاندل سميث" فضل السجن على الخدمة في العراق، ليكون أول من يواجه محكمة عسكرية لرفضه مشروعية الحرب.

ويقول العميد 'توبي أليوت' مدير مركز متخصص بمعالجة الآثار النفسية للعمليات القتالية: إن العديد من الجنود يغادرون الجيش مبكرًا، أملاً في تخفيف الآثار النفسية والذكريات والكوابيس وعقدة الذنب.

واتهمت وزيرة التنمية الدولية السابقة 'كلير شورت' الحكومة بوضع الجنود في 'وضع مستحيل' أثر على معنوياتهم.

وستتقدم شورت - التي استقالت لمعارضتها دخول الحرب - بمشروع قانون إلى مجلس العموم، يلزم الحكومة بالحصول على موافقته قبل دخول حرب أخرى.

هجوم علي يهودي أعلن
إسلامه بسبب حديث للإعلام الفلسطيني

شن موقع يهودي علي شبكة الإنترنت الهجوم علي المستوطن اليهودي الذي قام باعتناق الإسلام ، وذكر موقع صالقناة السابعة' العبري الإخباري التابع للمستوطنين اليهود السبت أن 'أفين اسكندر' المستوطن الذي كان يقطن بمستوطنة 'كريات أربع' الواقعة بمدينة الخليل بالضفة الغربية والذي أعلن إسلامه ومغادرته للمستوطنة وانتقاله للعيش في الحي العربي بالخليل بعد أن أطلق علي نفسه أسم 'محمد المهدي' بدء في الحديث لوسائل الإعلام الفلسطينية والخروج من عزلته.

وقال 'يونتان دحوت هلفي' مراسل الموقع: أن صالمهدي' أدلى بحديث لموقع فلسطيني تابع لحركة صحماس' بمناسبة شهر رمضان وسرد فيه قصة اعتناقه للإسلام منذ ثماني سنوات.

وذكر الموقع أن 'المهدي' لديه أربع أطفال وهو أذربيجاني الأصل وينحدر من أصول يهودية، وقال الموقع أن صالمهدي' يعتبر كل المستوطنين اليهود في الخليل أعداء وكفار ويصفهم دوماً برؤوس الإرهاب والتطرف والمحرضين على كراهية العرب.

وركز الموقع علي تأكيد 'المهدي' أن بقاءه في صفلسطين' من أجل البقاء مع أبناء شعبه في أرض الرباط وقال مراسل الموقع أن مصطلح 'أرض الرباط' هو مصطلح إسلامي يعني الأرض التي يجتمع فيها كافة جيوش المسلمين من أجل الجهاد.

وقال الموقع:أن أبناء 'المهدي' يتعلمون الآن في مدرسة "جيل القرآن" ومن المنتظر أن يتم نقلهم لمدرسة بجمعية الشبان المسلمين" في الخليل وأضاف الموقع: أن تلك المدرسة تعتبر جزء من البنية التحتية لحركة بحماس" وتعمل علي إعداد الجيل الجديد علي مبادئ الإسلام صالمتطرف' والجهاد -على حد تعبير الموقع- واختتم المراسل تقريره بالقول:أن 'إسرائيل' اعتبرت قبل عدة سنوات تلك المدرسة منظمة 'إرهابية'.

مصر: شنودة يدافع
عن المسرحية ويرفض مؤاخذة المسيحيين !

زعم "شنودة" بابا النصارى أن المسرحية التي عرضت بكنيسة الإسكندرية ÷ والتي أثارت مظاهرات عنيفة قتل بسببها 3 مسلمين وجرح العشرات ـ لم تتضمن أي إساءة للمقدسات الدينية.

واتهم في بيان له أصدره بعد اجتماع مع المجلس "الملي للأقباط الأرثوذكس" الذي يضم ثمانية من كبار الشخصيات القبطية المدنية، بعض الجهات بالسعي لإحداث فتنة والإضرار بالوحدة الوطنية في مصر،-على حد زعمه- ملمحًا في ذلك إلى صحيفتي الميدان والأسبوع الأسبوعيتين اللتين نشرتا أخبارًا صحفية عن المسرحية.

وبرغم احتواء المسرحية على العديد من المشاهد المستفزة لمشاعر المسلمين فقد زعم "شنودة" في بيانه إلى أن المسرحية المشار إليها، كانت تتحدث عن التطرف ولم تتحدث عن المقدسات الدينية، علما أنها تتحدث عن مسيحي اعتنق الإسلام وانضم إلى جماعة إسلامية صمتطرفة' ثم بدأ بعقد مقارنات بين الإسلام والمسيحية وبين معاملة المسلمين له على أنه مسلم من الدرجة الثانية على حسب ما جاء في نص المسرحية أدت به للعودة لديانته الأصلية.

يشار إلى أن الكنيسة كانت توزع أسطوانة مدمجة'[ضـ] عليها المسرحية المشار إليها في الأسواق، وقد أعربت عدة مصادر عن خشيتها من تدهور الأوضاع وسط صمت "شنودة" وعدم تعاونه مع الجهود المبذولة من محافظ الإسكندرية وأجهزة الأمن بالإضافة للأجهزة الشعبية في احتواء الأزمة.

انفلوانز الطيور :

السيد الحافي يؤكد أن المغرب يتوفر على وسائل تأمين مراقبة بالفعالية اللازمة للطيور المهاجرة

أكّد المندوب السامي للمياه والغابات ومحاربة التصحر السيد عبد العظيم الحافي أن المغرب يتوفر على كافة الآليات والوسائل لتأمين مراقبة بالفعالية اللازمة في ما يتعلق بالطيور المهاجرة من أجل مواجهة أي احتمال لنقل مرض أنفلونزا الطيور.

وأوضح السيد الحافي، في حديث خص به وكالة المغرب العربي للأنباء مؤخرا أن البلاد مجهزة بمراصد تمكن من تأمين مراقبة فيما يخص أنواع الطيور المهاجرة، ومواسم الهجرة، والتوافد على المناطق ودراسة سلوكات هذه الطيور، بالإضافة إلى المراقبة الوبائية بواسطة الملاحظة أو تحليلات تشريحية أو مختبرية.

وأشار إلى أنه "للمغرب امتياز التوفر على خطة للتصدي بالإضافة إلى مختبرات ذات تقنية عالية وخبراء أكفاء لتدبير الأوبئة"، مبرزا أن المندوبية السامية توجد في حالة استنفار خاصة مع التطورات التي تشهدها الوضعية الصحية المرتبطة بانتشار هذا المرض عبر العالم.

وأشار كذلك إلى أنه تم العمل على تعزيز وسائل الملاحظة ومتابعة ظاهرة هجرة الطيور إلى المغرب، باعتباره وجهة وبلدا للعبور.

وقال: "لا مجال للقلق، يجب الحفاظ على سلوك طبيعي فيما يتعلق بالعادات الغذائية في استهلاك لحم الدواجن"، مذكرا بأن هذه اللحوم سليمة ويمكن استهلاكها دون أي مشكل.

وأكد السيد الحافي أن أنفلونزا الطيور مرض معد جدا وتترتب عنه خسارات اقتصادية مهمة، مذكرا بأنه بمجرد ظهور المرض بآسيا، تم القضاء على حوالي200 مليون من الدواجن.

اختفاء اللسان الناطق
باسم رابطة العلماء من الأسواق

فوجئ قراء جريدة ميثاق الرابطة المحمدية لعلماء المغرب (رابطة علماء المغرب سابقا) باختفائها من الأسواق خلال الأسبوعين المنصرمين دون أي توضيح أو إعلان، خصوصا أن هذا الانقطاع تزامن مع الإعلان عن تعيين الأستاذ أحمد الحبابي كاتبا عاما للرابطة، والذي هو بدوره لم يبدأ بممارسة مهامه مما يزيد من إغراق هذه المؤسسة في النوم العميق ويحول دون ممارستها الفعلية لمهامها كهيئة تضم أهم طبقة في المجتمع المغربي، إلا أننا نأمل في الأيام القليلة المقبلة إن شاء الله تعالى أن يسفر الأمر على ما من شأنه أن يعيد للعلماء المكانة اللائقة بهم بوصفهم يمثلون ضمير الأمة الساهر على توجيه وتنوير المواطنين بما يجب عليهم تجاه ربهم ودينهم ووطنهم وأمتهم.

عالم يشهد أمام
محكمة أمريكية بقصور نظرية داروين

وقف عالم الكيمياء الحيوية الشهير 'مايكل بيهي' المدافع البارز عن نظرية 'التصميم الذكي' كشاهد أمام محكمة أمريكية، حيث أقر أمام المحكمة أن نظرية النشوء والارتقاء لداروين لا يمكن أن تفسر بعض العمليات البيولوجية المعقدة.

وكان البروفيسور "بيهي" من جامعة "لاهاي" الأمريكية هو الشاهد الأول الذي طلبت شهادته مدرسة تطالب بأن يستمع طلابها إلى محاضرة عن نظرية بالتصميم الذكي" أثناء درس مادة الأحياء.

ويرى أنصار "التصميم الذكي" أن الطبيعة بالغة التعقيد ولا يمكن أن تكون ظهرت عن طريق انتقاء طبيعي عشوائي كما تقول نظرية داروين.

وقال "بيهي" - روماني كاثوليكي- أن الطلبة يجب أن يدرسوا نظرية النشوء والارتقاء لأهميتها العلمية، إلا أنه أضاف أنها على الرغم من ذلك لا يمكنها تقديم تفسير كامل لبعض العمليات البيولوجية المعقدة، مشيرًا إلى أن ذلك عمل من صنع قوة ذكية، وأنه يؤمن بصورة شخصية أن تكون تلك القوة هي الله.

هذا، ورفعت ثماني عائلات دعوى قضائية لحذف نظرية بالتصميم الذكي" من مناهج مادة الأحياء، مبررين ذلك بأن ذلك التصور يروج لرؤية الكتاب المقدس للخلق، وأنه بذلك ينتهك الفصل الدستوري بين الكنيسة والدولة.

أميركا تعرب عن قلقها
من القدرة العسكرية المتعاظمة للصين

اتهم وزير الدفاع الأمريكي "دونالد رامسفيلد"، الصين بالتعتيم على حجم مخصصاتها الدفاعية، قائلاً إن التكتم يلقي ظلالا من الشك حول نوايا استخدامها لقواها العسكرية المتنامية.

ومن المقرر أن يلتقي "رامسفيلد" خلال أول زيارة له للصين منذ توليه البنتاغون عام 2001 بالرئيس الصيني "هو جينتاو"، الذي يتقلد أيضاً منصب رئيس المفوضية العسكرية الوسطى وهي المؤسسة العسكرية التي تدير الجيش الصيني.

وفي رد على سؤال حول دوافع بكين بشأن التعتيم على حقيقة المنصرفات الدفاعية، قال وزير الدفاع الأمريكي إن البنتاغون قدر حجم منصرفات الصين الدفاعية خلال العام الحالي بـ90 مليار دولار أي ثلاثة أضعاف إجمالي الموازنة المعلن عنها.

وتساءل "رامسفيلد" في هذا السياق قائلاً "لماذا يزيدون من جهودهم الدفاعية بهذه الوتيرة ويرفضون الكشف عنها".

وترغب واشنطن في استخدام المارد الصيني لنفوذه لإجبار كوريا الشمالية، وتتمنى عن طريق المحادثات السداسية، أن تتخلى بكين عن طموحها النووي.

العدد 04 - 28 رمضان 1426 الموافق لـ 01 نونبر 2005

تتمة الصفحة 1

العلمــاء والإرهــاب والعلمـانيـة

بقلم: إبراهيم الطالب

. . . إلا أنــه في هــذه الآونــة الأخيرة وخصوصا بعد الأحداث الإرهابية التي عرفتها بلادنا، استطاع العَلمانيون وكلاء الاستعمار في المجتمع المغربي، أن يخلطوا الأوراق ويضغطوا بكل ثقلهم وثقل من يدعمونهم من الخارج، ليدخلوا المغاربة في حالة من التيه، فصَوَّرُوا للناس البسطاء في ندواتهم وجرائدهم وكل تصريحاتهم، أن الخطر المحدق بالمغرب والمغاربة إنما يتمثل في الدين وأصحابه الذين يتشددون في تطبيقه حتى يعلو الشَّعَرُ وجوهَهَم (سنة اللحية)، وتطول ثيابُهم، وينزوُون عن مجتمعهم، فيقاطعون الشواطئ فلا يسبحون مع النساء العرايا، ويهجرون المهرجانات والسهرات فلا يرقصون مع الصبايا، ويعتبرون كل من يفعل ذلك كافرا وجب قتاله، مرتدا حلَّ دمه وماله، يقول العلمانيون هذا وهم يعلمون أنه افتراء على الله وعباده، وإنما همهم أن يفتعلوا صراعات بين فئات من المغاربة بغية التأثير على الطريقة التي تتم بها معالجة ملف الإرهاب، وذلك كله من جراء الحسابات والحساسيات السياسية الضيِّقة.

وبالفعل خولت لهم إمكاناتهم الإعلامية والوزارية وتغلغلهم في المؤسسات استغلال هذا الملف وأوراقه استغلالا بشعا، خلطوا فيه الحق بالباطل وسَوَّوا فيه بين مَنْ يلتزم بالدين وأحكامه ويتشبث بأمن بلده ووحدته، ولا يرى حمل السلاح والخروج على إمامه على عكس غالبية العلمانيين الذين لا يرون بيعته، والعاقل منهم يرى سيادته الرمزية ولا يرى بقاء حكمه الفعلي و سياسته لشؤون البلاد، تأسيا منهم بمن ثاروا على حكامهم وعلمائهم من الأوربيين.

ونظرا لهذا الخلط العلماني للأوراق، ونظرا للحساسية الدولية لملف الحرب على الإرهاب وما صاحبه من استكبار وطغيان أمريكي، تمثل في سحق الشعب الأفغاني المسلم، وتقتيل إخواننا في العراق، وأمام هذا الوضع الملتبس أصبح كل مغربي يطرح عدة أسئلة لا يجد من يجيبه عليها الجواب الشافي الكافي الذي ينير له مدلهمات ما بعد أحداث 16 ماي الأليمة، هذه الأسئلة تمحورت بالخصوص حول معنى الإرهاب، وكيف يمكن للمغربيِّ المسلم أن يميز بين الالتزام بالدين في الحياة اليومية وبين التطرف والإرهاب؟

وهل بالفعل يمكن أن يَفهم المرء ما يجري في بلاده على وجه الحقيقة؟

وكيف يمكن أن تُعالج هذه الظاهرة؟

وهل يمكن أن تُختزل أسباب الإرهاب في الجهل والفقر وتأثير الخطاب التكفيري لزعماء الفكر المتطرف؟

وهل يمكن أن يُقضى على التطرف بالوقوف إلى جانب أعداء الإسلام بحجة الحرب على الإرهاب؟

هذه الأسئلة وأسئلة أخرى كثيرة بقيت عالقة، وإنما تسبب في بقائها دون أجوبة شافية - بشكل أساسي- ذلك التطرف المماثل والمضاد الذي نهجته الفصائل والأحزاب العلمانية، لتحول دون أن يفهم المغاربة واقعهم، وأسباب قيام أبنائهم بقتل إخوانهم وأنفسهم.



إن الفِرَقَ العلمانية بالمغرب في السنوات الأخيرة، قد تمادت في غيِّها، مستغلة الظروف المحلية والدولية بغية التمكين لمشروعها العلماني في البلاد خصوصا بعد استيلائها بفعل الإكراهات الدولية خلال العقود الأخيرة من القرن 20 على مراكز القرار في البلاد، فهيمنتها على الكثير من الوزارات الحيوية والفعالة كالتعليم والاقتصاد والعدل، واستحواذها على وسائل الإعلام خصوصا القناة الثانية، كان من أهم العوامل التي أحدثت تغييرا في المجتمع المغربي خصوصا على المستوى الاجتماعي والديني، فأصبح أنصار العلمانية يشنون الحروب تلو الحروب على المقدسات الدينية، من خلال التشكيك في العقيدة الإسلامية وإنكار الأحكام الشرعية، وازدراء العلماء وتهميشهم، ونشر الرذيلة وإشاعة الفاحشة بين المواطنين، بتزيين كل ما حرم الله تعالى باسم التنوير والتقدمية، والتنفير من كل أحكام الدين باسم نبذ التقليد والرجعية.

هذا في الوقت الذي نلمس فيه للأسف الشديد وبكل وضوح أن السادة العلماء ما زالوا يعيشون حالة أقل ما يمكن أن توصف به هي كونها حالة فتور قصوى، أحدثت فراغا مهولا ملأه العلمانيون بكل خِسَّة ومكر حتى استطاعوا أن يُقيلوا من شاؤوا من وزارة الأوقاف وينصّبوا من شاؤوا باسم إعادة تنظيم الحقل الديني وذلك من خلال ممارسة إكراهات كثيرة على القائمين على هذا المجال، مما جعل المغاربة يفاجؤون بالإهانات المتكررة التي يتلقاها العلماء على أيدي المكلفين بتنظيم الحقل الديني كان آخرها ما طلعت به القناة الثانية على المشاهدين في برنامجها تجديد الخطاب الديني وكأنها تريد من خلاله أن تقول للمغاربة لقد أبْدَلناكم بعلمائكم أصحابِ العمائم والجلابيب علماءَ أطباءَ متنورين، يسهلون عليكم ما عَسَّرَهُ الأوائل، وكأنها توحي لكل المغاربة من طرف خفي أن أصحاب الفضيلة السادة العلماء كانوا أيضا هم من مؤطري أحداث العنف والتطرف، وأنهم مسؤولون عنها، لذا فإننا (أي القناة الثانية الناطقة باسم العلمانيين) قد قضينا عليهم لأنهم يحملون فكرا رجعيا ويعادون برامجنا كَكستين سطارَ وَستوديو2M" وأبدلناكم خيرا منهم، طبيبا يفتي بالفرنسية ويجعل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لاعبي كرة ويجعل الله سبحانه (. . . . .) - تعالى الله عما قال ذلك الطبيب علوا كبيرا- كما جعلنا (أي القناة الثانية الناطقة باسم العلمانيين) رهن إشارتكم مفتيا لا يعزب عنه مثقال ذرة من علم يفتي عبر الأثير، يلبس الجلباب الأبيض فقط للفتوى ويجلس على المقاهي ويلعب الرياضة على الشاطئ، أليس هذا هو تنظيم الحقل الديني؟ أليس هكذا يكون تجديد الخطاب الديني؟

فرحم الله العلماء أيام وقفوا وقفة الرجال بعد خمس سنوات من خروج الاستعمار وأنشؤوا رابطتهم لمحاربة كل فكر دخيل، وللذب عن حرمة الدين، إلا أنها للأسف الشديد، دخلت في العقدين الأخيرين في سبات عميق كما وصفها العاهل المغربي- نصره الله وقيض له البطانة الصالحة التي تعيد للدين مجده وقوته وصولته-، تلك الرابطة التي وقفت في وجه العلمانيين لسنوات طويلة أيام كان العلم في المغرب معززا منصورا مكرما، والعالم سيدا وقائدا وإماما، فسطرت أهدافا ما فتئت تناضل من أجلها وتسهر على تنفيذها، ولا ندري كيف تخلت عن واجباتها؟ أو بالأحرى كيف تغافلت عنها في العقدين الأخيرين مما جعل المجال فارغا من أي مقاوم للغزو الشرس والحرب الشعواء للعلمانية والعلمانيين.

ونترك القارئ الكريم مع جملة من تلك الأهداف التي تضمنها القانون الأساسي لرابطة علماء المغرب:

1- تجديد القيم الإسلامية بإحياء السنة وإماتة البدعة ومحاربة اللادينية والإلحاد والزندقة والانحلال الخلقي والاجتماعي ونشر الدعوة الإسلامية في البلدان غير المسلمة.

2- السعي لحماية التعليم الإسلامي العربي في جميع مراحله بما يضمن المحافظة على تراث الثقافة الإسلامية العربية.

3- مقاومة التبشير ضد العقيدة الإسلامية عن طريق النشرات والمحاضرات أو التطبيب أو المكاتب أو المدارس أو دور الأمومة وغير ذلك. (انظر مواقف وآراء رابطة علماء المغرب من التأسيس 1960 إلى المؤتمر العاشر 1987.)

فإن كان علماؤنا قد وضعوا سلاح النقد والرد على شبهات اللادينيين والإلحاديين والزنادقة والمنصرين وتركوا الانحلال الخلقي والاجتماعي يعيث في وطننا فسادا، فإن خصومهم وخصوم الدين والهوية: العلمانيين التغريبيين، لم يضعوا أسلحتهم بعد، بل تنادوا من كل فج عميق داعين إلى اتحادهم وجمع شملهم، فيا ترى ضد من يتحدون؟ ولماذا يهيئون؟

فمتى ينتفض العلماء ويعلنوا يقظتهم ورجوعهم إلى مواقع النضال ضد هذه النبتة الخبيثة المسمومة التي تُدعى بالعلمانية؟ التي ما فتئت تلبِّس على المغاربة دينَهم وتتغلغل في عقول أبنائهم لتفسد عقائدهم.

فالله الله أيها العلماء في دينه وعباده!!

والوفاء الوفاء بميثاق الله سبحانه:(وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ) آل عمران187.

العدد 04 ، 28 رمضان 1426 الموافق لـ 01 نونبر 2005

ياسين من الإحسان ! إلى الهذيان .

"إن البغاث بأرضنا يستنسر"

بقلم : رشيد مومن الإدريسي

الحلقة الأولى

مقدمة:

ابتلينا في عصرنا الحاضر بأناس يستمسكون بالمظنونات، ويعرضون عن المحكمات الواضحات، أناس سعوا لإحياء الخرافة من جديد، حيث حكموا بمقتضى الرؤى والمنامات على كثير من الأمور والقضايا والتصرفات، بل على كثير من الأقوال والأعمال والاعتقادات، فاستنسروا وهم بغاث.

وصدق من قال:" إن البغاث بأرضنا يستنسر": بغاث يريد أن ينقض علينا، بهذيانه، وبهتانه.. دونما برهانه!!، ولكن أنى له ذلك؟! إنه حلم (له) جميل، لكنه - في النهاية- كابوس مزعج ثقيل، سرعان ما يستيقظ منه، فإذا هو- على ما هو عليه- في قمامات الدنيا، على غير سبيل ولا دليل.

فالبغاث مهما استنسر فهو بغاث لن يعدوا قدره... بغاث الأحداث بالإحداث...

بغاث بغاث بغاث بغاث
من الشر فيهم فلسنا نغاث

والبغاث : طير من البواشيق لا تصيد شيئا من الطير، والواحدة بُغَاثة ويجمع على البِغْثان.- كتاب العين للفراهيدي-

ـ مزاعم البِغثان :

تعتقد الجماعة أن 2006 سنة" الخلافة على منهاج النبوة"!!وما فتئ مسؤولوها وأعضاء مكتب إرشادها يرددون في كل لقاءاتهم أن مرشدهم هو "الخليفة المنتظر"!! وأن شروط الخلافة متوفرة فيه!! وأن الخلافة ليست خاصة بالمغرب فحسب، بل هي عامة على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها!!

وقد تولى كبر ذلك مرشدهم الغارق في هذيان التصوف، دون حياء من الله ولا تخوف.

فنقول له: أمهدوية تدعيها، وحب للخلافة؟!! أو هو شغف بالعلو والرياسة؟! فأين أنت من العدل والإحسان يا صاحبة الكياسة؟!!

تأملت أختبر المدعين
بين الموالي وبين العبيد
فألفيت أكثرهم كالسراب
يروقك منظره من بعيد
فبعض أشار إلى نفسه
وأقسم ما فوقها من مزيد
وآخر يعبد أهواءه
وما عابد للهوى بالرشيد

قال الخطيب ـ رحمه الله- في "الجامع" 321/1:" كان يقال من طلب الرياسة، وقع في الدياسة" اهـ قلت: يقال: داس فلانا دياسة: أذله، أو وطئه برجله.

ـ عهد الخلافة فيما يراه النائم !! :

- حكا الرائي نبيل-ح، أحد المريدين من "سيدي قاسم" أنه رأى رؤيا في شهر جمادى الثانية 1425هـ / يوليوز 2004م فقال: رأيت فيما يرى النائم، كأني في سجن ومعي الإخوان السجناء، وكأننا في رباط. فقال لي أحد الإخوة: احفظ جيدا، فلم يبق إلا ست سنوات، ففهمت أن مراده الخلافة" موقع شيخ الطريقة الياسنية.

ـ الحجة على الناس فيما يراه النائم !!:

ـ زعم مريد آخر من مدينة "إنزكان" أنه رأى يوم الأربعاء 2 ذو القعدة 1425هـ:" أن الإمام البخاري- رحمه الله- أتاه وقال له: "إن أصح كتاب بعد القرءان الكريم هو المنهاج النبوي، ثم تقدم الإمام النووي- رحمه الله- إليه قائلا: أنه لم يصل إلى ما وصل إليه سيدي عبد السلام، رغم اعتزاله النساء وصيام العام كله وقيام الليل، وجاء بعده سفيان الثوري - رحمه الله- وقال: إن سيدي عبد السلام حجة على الإخوان" اهـ حكيت هذه الرؤيا بحضرة ياسين في مجلس الأحد 19 دجنبر2004م، وسلم بها ولم ينكر ذلك، وقد نقلت تفاصيل المجلس جريدة الأيام عدد 163.

ـ ذكرني هذا بشيء فهل تذكرونه معي؟!:

لقد ذكرني هذا الهذيان بتعصب أتباع المذاهب لمذاهبهم، فتجدهم يرجحون مذهبهم عن سائر المذاهب بما يرونه في الرؤى والمنامات.

فهذا أبو الخطاب المتوفى سنة 476هـ قال:

وعن مذهبي إن تسألوا فابن حنبل
به أقتدي ما دمت حيا أمتع
وذلك لأني في المنام رأيته
يروح ويغدو في الجنان ويرتع

"طبقات الحنابلة" 11.

وقال عبد الوهاب الوراق: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أقبل فقال لي: ما لي أراك محزونا فقلت: وكيف لا أكون محزونا وقد حل بأمتك ما قد ترى؟ فقال لي: لينتهين الناس إلى مذهب أحمد بن حنبل، لينتهين الناس إلى مذهب أحمد بن حنبل" "طبقات الحنابلة" 154.

فذاك الهذيان يشبه هذا الهذيان مع أن الإمام أحمد- رحمه الله- كان يقول:" رأي الأوزاعي، ورأي مالك، ورأي أبي حنيفة كله رأي وهو عندي سواء، وإنما الحجة في الآثار" " الجامع " لابن عبد البر رحمه الله 149/2.

ـ شبهات القوم والرد عليها:

ادعى القوم " البغاث" أن الخلافة قائمة على أيديهم وبزعامة مرشدهم سنة 2006م متمسكين بالحديث عن النعمان بن بشير قال: كنا قعودا في المسجد- وكان بشير رجلا يكف حديثه- فجاء أبو ثعلبة الخشني فقال: يا بشير بن سعد! أتحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمراء؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة فقال حذيفة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكا جبريا، فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت"أخرجه أحمد وغيره وهو صحيح أنظر الصحيحة5.

لكن نقول: هل حدد النبي صلى الله عليه وسلم السَّنة التي تكون فيها الخلافة على منهاج النبوة، وعلى يد من؟! ثم هل الخلافة على منهاج النبوة تقوم على الأحلام والمنامات وعلى البهتان والهذيان والترهات؟! وهل يسعى إليها ببث النزاع والشقاق والاختلاف والافتراق؟! وهل الطريق إليها بإيقاع الفتنة بين الخلق وترك الاستسلام للحق؟! وهل السبيل إليها بالابتداع وترك الاتباع؟!

نقول باختصار: إن الذي حقق الخلافة الراشدة بعد النبوة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان، إذن فالذي يعيد الخلافة الراشدة على منهاج النبوة هم من كانوا على منهج السلف الصالح في العقيدة والمنهاج والسلوك والتربية.

قال محمد بن سيرين- رحمه الله-:" كانوا يرون أنهم على الطريق ما كانوا على الأثر" اهـ قلت: فلا أحلام ولا منامات، ولا رأي ولا نظر.



لقد بنى القوم "البغاث" ادعائاتهم على الرؤى والمنامات، مع العلم أن هذه الأخيرة لا تخرج عن حيز الظنون والاحتمالات، فكيف يدعى أنها وحي من رب الأرض والسموات .

يقول ياسين في الشعبة الخامسة والثلاثين من شعب الصدق:" الرؤيا الصالحة جزء من النبوة، هي وَحْيٌ من الله إلى العبد الصالح، تشجعه على سلوك الطريق إلى الله.. يقول المادي الكئيب: مجرد رؤيا! وما جدوى الرؤيا؟ أما نحن فعندما نقرأ القرءان، ونقرأ سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ونرى ما للرؤيا من أهمية في حياة الأنبياء والمؤمنين، نعرف أن باب الغيب الذي بقي مفتوحا لنا إنما هو هذا الباب، لكن الصادقين لا يرتبون على الرؤيا حكما جديدا، ولا يعطلون بها حكما معروفا من أحكام الشريعة، كثير من الرؤى تحتاج تعبيرا، والتعبير علم وحكمة يؤتيها الله من يشاء، فمن لنا بتلك الحكمة! لهذا فلا نبني على الرؤيا عملا، إنما هي مبشرات تسر ولا تغر، وظيفتها أن تشجع فينا خصال الإيمان ونية الجهاد، لا أن تصبح مصدر الأحكام!!!"." المنهاج النبوي" مجلة الجماعة 582,دجنبر1981م.

أقول: العجب كل العجب من قوله : لكن الصادقين لا يُرتِّبون على الرؤيا حكما جديدا، ولا يُعَطلون بها حكما معروفا من أحكام الشريعة!!"اهـ

فيا لِهذا التناقض ما أوضحه!!

أليس أمر الخلافة على منهاج النبوة من الأمور الشرعية العقدية؟!

أليس تحديد سَنَة هذه الخلافة وعلى يد مَن ستقوم من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا رب البرية؟!

وهل اقرارك لأتباعك على رؤاهم بأنك حجة وأن طريقك سوية، ليس بتحكم وعصبية؟!

فما أرخص ما باع القوم" البغاث" العلم والفقه والاتباع، بالرؤى والمنامات والابتداع؟!

كيف يرجم القوم بالغيبيات بعملهم بالرؤى والمنامات والله يقول (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو)؟!

قال الشوكاني - رحمه الله-: " وقوله لا يعلمها إلا هو، جملة مؤكدة لمضمون الجملة الأولى وأنه لا علم لأحد من خلقه بشيء من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها... وفي هذه الآية الشريفة ما يدفع أباطيل الكهان والرمليين وغيرهم من المدعين ما ليس من شأنهم ولا يدخل تحت قدرتهم ولا يحيط به علمهم، ولقد ابتلي الإسلام وأهله بقوم سوء من هذه الأجناس الضالة والأنواع المخذولة..." اهـ " فتح القدير" 173/2.

هكذا يلبس الشيطان على الناس أمر دينهم، فيتراءى لهم في المنام موجها لأعمال غير مشروعة، وقد يتمثل لهم حتى في اليقظة، والعاقل الأريب لا يجعل ذلك مصدرا تصدر عنه أقواله وأفعاله، وإنما يرجع إلى الوحي.

فعن حارثة بن مضرب قال:" إن الناس نودي فيهم بعد نومة أنه من صلى في المسجد الأعظم دخل الجنة فانطلق النساء والرجال حتى امتلأ المسجد قياما يصلون.

قال أبو إسحاق: إن أمي وجدتي فيهم، فأتى ابن مسعود- رضي الله عنه- فقيل له : ادرك الناس ، فقال: ما لهم؟ قيل: نودي فيهم بعد نومهم أنه من صلى في المسجد الأعظم دخل الجنة، فخرج ابن مسعود- رضي الله عنه- يشير بثوبه: ويلكم اخرجوا لا تعذبوا، إنما هي نفحة من الشيطان، إنه لم ينزل كتاب بعد نبيكم، ولا ينزل بعد نبيكم، فخرجوا وجلسوا إلى أبي عبد الله فقال : إن الشيطان إذا أراد أن يوقع الكذب انطلق فتمثل رجلا فيلقى آخر، فيقول له: أما بلغك الخبر، فيقول الرجل: وما ذاك، فيقول: كان من الأمر كذا وكذا، فانطلق فحدث أصحابك، قال: فينطلق الآخر فيقول: لقد لقينا رجلا إني لأتوهمه أعرف وجهه زعم أنه كان من الأمر كذا وكذا وما هو إلا الشيطان" رواه ابن وضاح في بالبدع والنهي عنها"8.

يتبع

موقف الأئمة المالكية من مسمى الموضا والأزياء الغربية

بقلم: عبد العزيز المسلك

في هذا المقال أحببت أن أنبه على خطر عمَّ وطم, واستهان به الأخص والأعم، والمتمثل فيما تضخه شركات التصميم ودُور الأزياء، وصالات العرض، ومجلات آخر بموضا، من مختلف الأزياء فمنها القصير والأقصر، ومنها الشفاف والمُجَسِّم، فأصبح التنافس بينها فيمن يقدِّم للمجتمع اللباس الأكثر فتنة، والأقدر على إظهار مفاتن النساء وعوراتهم، وذلك ليمسخوا حال فتياتنا وفتياننا، ويفسدوا أخلاقهم وسلوكياتهم، وهذا أمر بيِّن لا ينكر.

ونظرا لأهمية الموضوع وخطره ارتأيت أن أقرّب لأخواتي و لإخواني القراء الكرام رأي السادة الأفاضل العلماء بوصفهم حراس الفضيلة:

فما قول السادة الفقهاء؟

الجواب: إن العلماء استخلصوا من الأدلة القرآنية، والأحاديث النبوية، صفات شرعية للباس المرأة المسلمة منها:

- **أن يكون ساتراً:**

عن ابن عمر _ رضي الله عنهما- مرفوعا:" من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة" فقالت أم سلمة- رضي الله عنها-: كيف تصنع النساء بذيولهن؟ قال:" يُرخين شبرا" فقالت إذن تنكشف أقدامهن!؟ قال:" فيرخين ذراعا لا يزدن عليه" رواه الخمسة ومالك, قال الزرقاني:" وإنَّما لها ذلك _ أي الإسبال- لأن المرأة كلها عورة إلا وجهها وكفيها" شرح الزرقاني على الموطأ 275/4

قال الباجي:" وهذا يقتضي أن نساء العرب لم يكنْ من زيهن خف ولا جورب، كن يلبسن النعال أو يمشين بغير شيء, وتقتصرن من ستر أرجلهن على إرخاء الذيل, والله أعلم... وذلك على الوجوب ولا يحل للمرأة أن تترك ما تستتر به" "المنتقى" 2272267.

وروى مسلم عن أبي هريرة _رضي الله عنه- مرفوعا:" صنفان من أهل النار لم أرهما...." وأخرجه مالك موقوفا ووصله ابن عبد البر في "التمهيد"

وروى الطبراني في "الصغير" بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" سيكون آخر أمتي نساء كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البُخْت، إلعنوهن فإنهن ملعونات".

قال القرطبي في "المفهم449/5" عند قول النبي صلى الله عليه وسلم " لم أرهما": "أي لم يوجد في عصره منها أحد, لطهارة أهل ذلك العصر".

قال ابن عبد البر – رحمه الله-: "وأما معنى قوله كاسيات عاريات, أراد صلى الله عليه وسلم من النساء اللواتي يلبسن من الثياب الشيء الخفيف الذي يصف ولا يستر، فهن كاسيات بالاسم، عاريات في الحقيقة" "التمهيد" 204/13.

قال ابن العربي:" من التبرج أن تلبس المرأة ثوبا رقيقا يصفها وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (فذكره), ثم قال:" إنما جعلهن كاسيات لأن الثياب عليهن, وإنما وصفهن بعاريات, لأن الثوب إذا رق يكشفهن, وذلك حرام) "أحكام القرءان" 1401/3

عن هشام بن عروة أن المنذر بن الزبير قَدِم من العراق, فأرسل إلى أسماء بنت أبي بكر من ثياب مروية- أي نسبة إلى مرو مدينة بفارس- وقوهية – ثياب بيض نسبة إلى قوهستان رقاق عتاق بعدما كف بصرها قال: فلمستها بيدها ثم قالت: أف!!, ردوا عليه كسوته فشق ذلك عليه وقال: يا أمه إنه لا يشف: قالت: إنها إن لم تشف فإنها تصف" أخرجه ابن سعد بإسناد صحيح.

روى مالك 913/2 عن أم علقمة بنت أبي علقمة قالت: رأيت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر دخلت على عائشة وعليها خمار رقيق يشف عن جبينها فشقته عائشة عليها, وقالت: أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور!؟ ثم دعت بخمار فكستها".

قال الباجي :" يحتمل، والله أعلم وأحكم، أن يكون مع رقته من الخفة ما يصف ما تحته من الشعر, ويحتمل أنه كان رقيقا لا يستر الأعضاء وإن كان صفيقا لشدة رقته ولصوقه بالأعضاء, والأول أظهر في الخمار فكرهت لها عائشة رضي الله عنها ذلك وشقَّته لتمنعها الاختمار به في المستقبل، وأعطتها ما تختمر به خمارا كثيفا تتخذ في المستقبل مثله, وتريها الجنس الذي شرع لها الاختمار به" "المنتقى شرح الموطأ" 2247

قلت: فكيف بما شفَّ عن الفخذ والصدر وأسفل البطن!؟

أن لا يكون ضيِّقا يحدد مفاتنها:

عن أسامة بن زيد قال:" كساني رسول الله صلى الله عليه وسلم قبطية (ثوب من كتان رقيق يُعمل بمصر) كثيفة كانت مما أهداها له دحيةُ الكلبي، فكسوتها امرأتي، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مالك لم تلبس القبطية؟ " قلت: يا رسول الله، كسوتها امرأتي، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مُرْها فلتجعل تحتها غلالة (شعار تحت الثوب) إني أخاف أن تصف حجم عظامها" رواه أحمد 205/5 والبيهقي 2342 بسند حسن.

وقال الإمام مالك _ رحمه الله- :"بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى النساء أن يلبسن القباطي, قال: وإن كانت لا تشف فإنها تصف. قال مالك : معنى تصف أي: تلصق بالجلد.

وسئل مالك عن الوصائف يلبسن الأقبية فقال: ما يعجبني ذلك, وإذا شدتها عليها ظهر عجزها. ومعنى ذلك: أنه لضيقه يصف أعضاءها: عَجُزَها وغيرها مما شرع ستره "المنتقى" شرح الموطأ للباجي 224/7.

قال ابن رشد _رحمه الله- :"القُباطي ثياب ضيقة ملتصقة بالجسد لضيقها, فتبدي ثخانة جسم لابسها من نحافته, وتصف محاسنه, وتبدي ما يستحسن مما لا يستحسن, فنهى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أن يلبسها النساء امتثالا لقوله عز وجل :" ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها" المدخل لابن الحاج 235/1

قال ابن الحاج في المدخل 234/1-235 :" فمن ذلك ما يلبسن من هذه الثياب الضيقة القصيرة, وهما منهي عنهما, ووردت السنة بضدها, لأن الضيق من الثياب يصف من المرأة أكتافها وثدييها وغير ذلك. هذا في الضيق, وأما القصير, فإن الغالب منهن أن يجعلن القميص إلى الركبة, فأن انحنت أو جلست, أو قامت انكشفت عورتها, ووردت السنة أن ثوب المراة تجره خلفها, ويكون فيه وسع بحيث إنه لا يصفها".

جاء في كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني:" ولا يلبس النساء على جهة المنع من الرقيق ما يصفهن، إذا خرجن من بيوتهن, أما إذا لبسنه في بيوتهن مع أزواجهن فيجوز" كفاية الطالب مع حاشية العدوي435/4.

قلت: هذه ذكرى العلماء فأين دور الموضا والأزياء .

أختاه:

لحد الركبتين تُشَمِّرينا — بربك أي نهر تعبرينا
كأن الثوب ظل في صباح — يزيد تقلصا حينا فحينا
تظنين الرجال بلا شعور — لأنك ربما لا تشعرينا

أن لا يشبه لباس الرجل

عن ابن عباس قال:" لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء, والمتشبهات من النساء بالرجال" رواه أحمد والبخاري.

وعنه أيضا قال:" لعن النبي الله صلى الله عليه وسلم المخنتين من الرجال, والمترجلات من النساء, وقال:"أخرجوهم من بيوتكم" قال: فأخرج النبي الله صلى الله عليه وسلم فلانا, وأخرج عمر فلانا" رواه أحمد والبخاري.

عن أبي هريرة قال:" لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة, والمرأة تلبس لبسة الرجل" رواه أبو داود بإسناد حسن وأحمد والنسائي و الطبري.

قال ابن العربي:" ذلك عبارة عن كل من تشبه بالآخر في زينة أو لبسة أو مشية أو نغمة كلام" العارض 233/10-234

يا من هديتِ إلى الإسلام راضية — وما ارتضيت سوى منهاج خير نبي
إن الحجاب الذي نبغيه مكرمة — لكل حواء ما عابت ولم تعب
نريد منها احتشاماً، عفة، أدباً — وهم يريدون منها قلة الأدب
لا تحسبي أن الاسترجال مفخرة — فهو الهزيمة أو لون من الهرب
صوني حياءك، صوني العرض، لا تَهِني — وصابري أختاه واصبري لله واحتسبي

قال مصطفى صادق الرافعي:

وما عجبي أن النساء ترجلت — ولكنّ تأنيث الرجال عجاب

أن لا يكون مطيبا:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية وكل عين زانية" أحمد والثلاثة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا:" أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهدن معنا العشاء الآخرة" أخرجه مسلم.

وعنه أيضا مرفوعا:" لا يقبل الله من امرأة صلاة ،خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل" أحمد وأبو داود, وفيه قصة:" مرت بأبي هريرة امرأة, وريحها تعصف, فقال لها إلى أين تريدين يا أمة الجبار؟ قالت: إلى المسجد قال: تطيبت؟ قالت: نعم,قال: فارجعي فاغتسلي فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: فذكره.

قال القاضي عياض:" ونهي النبي صلى الله عليه وسلم للنساء عن الخروج إلى المسجد إذا تطيبن أو تبخرن, لأجل فتنة الرجال بطيب ريحتهن, وتحريك قلوبهم وشهواتهم بذلك, وذلك لغير المسجد أحرى, وكل ذلك يجب منع النساء منه إذا خرجن بحيث يراهن الرجال" "إكمال المعلم 355/2.

قال ابن العربي:" فإذا تعطرت المرأة فلتلزم قعر بيتها ولا تخرج, فإنها إذا خرجت متعطرة فقد روى أبو عيسى عن أبي موسى:" كل عين زانية, والمرأة إذا استعطرت ومرت بالمجلس فهي كذا وكذا, يعني زانية, ومعنى زناها: أن الزنا عبارة عن كل فعل يؤول إليه ويستدعيه ويعين عليه كالنظر واللمس والمشي والإشارة والغمز والتعطر" بالعارضة"231/10-233.

وذهب أهل العلم إلى أنه:" يُلحق بالطيب ما في معناه, لأن سبب المنع منه ما فيه تحريك داعية الشهوة, كحسن الملبس, والحلي الذي يظهر, والزينة الفاخرة, وكذا الاختلاط بالرجال" "الفتح" 350/2.

تنبيه:

قال ابن الحاج في "المدخل":" وانظر! رحمنا الله وإياك إلى هذه السنن كيف اندرست في زماننا هذا حتى بقيت كأنها لم تعرف, لما ارتكبن من ضد هذه الأحوال الشرعية, فتقعد المرأة في بيتها على ما هو معلوم من عادتهن بحفش ثيابها, وترك زينتها وتجملها, وبعض شعرها نازل على جبهتها إلى غير ذلك من أوساخها وعرقها, وحتى لو رآها رجل أجنبي لنفر بطبعه منها غالبا, فكيف بالزوج الملاصق لها؟ فإذا أرادت إحداهن الخروج تنظف وتزينت ونظرت إلى أحسن ما عندها من الثياب والحلي فلبسته, وتخرج إلى الطريق كأنها عروس تحلى وتمشي في وسط الطريق وتزاحم الرجال, ولهن صنعة في مشيهن, حتى إن الرجال ليرجعون مع الحيطان حتى يوسعوا لهن في الطريق, أعني المتقين منهم, وغيرهم يخالطوهن ويزاحموهن ويمازحوهن قصدا, كل هذا سببه عدم النظر إلى السنَّة وقوادها, وما مضى عليه سلف الأمة رضي الله عنهم فإذا نبَّه العالم على هذا وأمثاله انسدت هذه المثالم, ورجي للجميع بركة ذلك" المدخل 238/1.

إكرام نبوي

عن أنس رضي الله عنه، أن جارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان طيب المرق، فصنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء يدعوه، فقال: وهذه، لعائشة؟ فقال: لا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا. فعاد يدعوه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: وهذه؟ قال: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا. فعاد يدعوه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: وهذه؟ قال: نعم. فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله. مسلم

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت ؛ ما رأيت أحدا أشبه سمتا ودلا وهديا برسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: وكانت إذا دخلت على النبي قام إليها وأخذ بيدها فقبلها وأجلسها في المجلس، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل عليها، قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها، فلما مرض النبي صلى الله عليه وسلم دخلت فاطمة فأكبت عليه فقبلته ثم رفعت رأسها....ٌ صحيح، رواه أبو داود قال المباركفوري؛ وأجلسها في مجلسه، أي تكريما لها تحفة الأحوذي 281/10.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها... رواه مسلم 2454 .

ـ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء... وكنت أنقل النوى من أرض الزبير على رأسي. فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من الأنصار فدعاني ليحملني خلفه؛ فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أني قد استحييت فمضى». متفق عليه .

عن أم هانئ رضي الله عنها قالت: ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره فسلمت عليه فقال: «من هذه؟ فقلت: أنا أم هانئ. فقال: مرحبا بأم هانئ، قلت: يا رسول الله زعم ابن أمي علي أنه قاتل رجلا قد أجرته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد أجرنا من أجرتي يا أم هانئ». رواه البخاري 3171 **ومسلم** 336.

رياض النساء

الولاية مغرم أم مغنم؟!

بقلم: حمّاد القبّاج

قام بعض الناس يطالبون برفع الولاية على المرأة في الزواج، وأن لا يبقى الوليُّ شرطا في صحة نكاحها، لأن هذا في تصوُّرهم ينقص من كرامتها ويتنافى مع وضعيتها المعاصرة!!

ويقولون: إن الولاية لا ينبغي أن تكون إلا على الصغار والمجانين!

وهذا لا يزيد على كونه تطاولا سفيها على شرع الله، ومعارضة لما يهدف إليه من التقاء الأسر على ضوء التراضي والتوافق لتكون علاقتهم مبينة على أساس متين من الترابط والالتحام:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا نكاح إلا بولي». صحيح، رواه أحمد(394/4 و413 و418).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: »أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها، فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل«. صحيح، رواه أبو داود (2083)

ومعنى حذف الولاية على المرأة اعتبار الزواج أمرا خاصا بها، لا علاقة له بأسرتها لا من قريب ولا من بعيد، بينما الأمر على خلاف هذا؛ حيث أن أسرة الزوجة، وعلى رأسهم الولي، ينتفعون بنجاح الزواج من وجوه كثيرة أقلها الارتياح النفسي الذي يجدونه بين الناس لكون ابنتهم وفقت في زواجها، بخلاف ما لو فشل الزواج فإنه يلحقهم بسبب ذلك الأذى والضرر، وهذا يجعلهم يبذلون غاية جهدهم من أجل أن توفق ابنتهم في زواجها.

والنفي في الحديث الأول هو نفي الصحة كما بينه الحديث الثاني، وكلاهما صريح في أن المرأة لا يجوز لها أن تزوج نفسها، فإذا فعلت فنكاحها باطل, وهي متشبهة بالزانيات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «...لا تزوج المرأة نفسها فإن الزانية هي التي تزوج نفسها» صحيح، رواه ابن ماجة 1882

والحكمة في هذا الحكم ظاهرة، فإن الخبرة والرزانة والتحري والتثبت، أمور مهمة في هذا الباب وهي مواصفات تفتقدها المقدمة على الزواج عادة، حيث تكون مدفوعة بعامل الرغبة والشوق، معجبة بما يظهره الخاطب من مظاهر قد تكون كاذبة ومصطنعة، فتستعين بالولي الحريص على جلب الخير لها ودفع الشر عنها، فيكون ناصحا لها في هذا الاختيار الصعب والحساس.

ومعنى حذف الولاية على المرأة اعتبار الزواج أمرا خاصا بها، لا علاقة له بأسرتها لا من قريب ولا من بعيد، بينما الأمر على خلاف هذا؛ حيث أن أسرة الزوجة، وعلى رأسهم الولي، ينتفعون بنجاح الزواج من وجوه كثيرة أقلها الارتياح النفسي الذي يجدونه بين الناس لكون ابنتهم وفقت في زواجها، بخلاف ما لو فشل الزواج فإنه يلحقهم بسبب ذلك الأذى والضرر، وهذا يجعلهم يبذلون غاية جهدهم من أجل أن توفق ابنتهم في زواجها.

فكيف نقول إذن بأن اشتراط الولي فيه مسا بحقوق المرأة؟! مع أنه لم يشترط إلا ليكون أمينا على حقوقها، معينا لها على ما تتم به مصلحتها وتحافظ به على كرامتها. ولماذا نعتبر الولاية تمييزا ضد المرأة بدل أن نرى فيها امتيازا لها يعطيها حصانة اجتماعية في حالة الزواج وفي حالة الطلاق؟!

قال الدكتور عمر الأشقر:"شرعت الولاية على الصغار والمجانين لأنهم ليسوا بأهل للتصرف في أمورهم، فيحتاجون إلى من يقوم بمصالحهم ومنه الزواج، أما الولاية على المرأة البالغة العاقلة فليس المقصود منه قهر المرأة وإذلالها والتحكم فيها، بل وراء ذلك حكم كثيرة منها:

1. صيانة المرأة عما يشعر بوقاحتها ورعونتها وميلها إلى الرجال.

فالمرأة تجد غضاضة في مباشرة ذلك، وحياؤها –وقد طبعت على الحياء– يمنعها من ذلك.

2. الرجال أقدر على البحث عن أحوال الخاطب من النساء، ولو تركت المرأة وحدها تقرر مصيرها بلا معونة من أهلها وأقاربها فقد لا توفق إلى اختيار الرجل المناسب.

3. اشتراط الولي فيه مزيد من الإعلان عن النكاح، والشريعة تدعو إلى إعلان النكاح وإشهاره، من أجل ذلك شرع الولي والشهود والوليمة والتهنئة.

4. ارتباط المرأة بالرجل الذي تختاره ليس شأنا خاصا بالمرأة دون سواها.

فالزواج يربط بين الأسر ويوجد شبكة من العلاقات، والآباء والأخوة يهمهم أن تكون الأسرة التي يرتبطون بها على مستوى من الفضل والخلق، وارتباط المرأة بالزوج الصالح يريح أسرتها وتعثرها في حياتها الزوجية يقلقهم ويتعبهم.

والأولياء يصيبهم العناء والبلاء إذا لم توفق المرأة في زواجها وسيقعون في بلاء أعظم وأشد إذا وصل الشقاق بين المرأة وزوجها إلى الطلاق وعادت إليهم تحمل في رحمها جنينا. وتمسك بيدها أولادها أفيكون عليهم الغرم، ولا يشاركون في قرار له انعكاساته على حياتهم كلهم!!

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: "أساس الولاية أن عقد الزواج لا تعود مغبته على العاقدين وحدهما، بل ينال الأسرة منه شيء من العار أو الفخار". الأحوال الشخصية ص. 108

والعالم بأحكام الشريعة في الولاية يعلم أن هذا التشريع فيه خير للمرأة يجنبها المزالق والمهالك، ويحميها من شياطين الإنس الذين يريدون التلاعب بها.

وينبغي علينا أن نعلم أن هذه الولاية ليست مطلقة، فلا يجوز للولي أن يكره المرأة على الزواج بمن لا ترغب فيه، وكذا لا يجوز له إعضالها، وبهذا تكون الشريعة قد سدت الباب على الولي إذا أراد استغلال ولايته بما يضر المرأة ويخدش في كرامتها.

عن الخنساء بنت خدام الأنصارية أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد نكاحها. رواه البخاري (5138)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن جارية بكرا أتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة فخيرها النبي صلى الله عليه وسلم فرد نكاحها. صحيح رواه أبو داود (2096)

ومما جاء في بيان عدم جواز العضل، ما رواه البخاري عن معقل بن يسار قال: زوجت أختاً لي من رجل فطلقها، ثم جاء يخطبها فقلت له: قد زوجتكها فطلقتها ثم جئت تخبطها، لا والله لا تعود إليك أبدا –وكان رجلا لا بأس به– وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه فأنزل الله هذه الآية (فلا تعضلوهن) فقلت: الآن أفعل يا رسول الله، قال: فزوجها إياه". رواه البخاري (5130).

فلا إهانة للمرأة في هذا الحكم ولا ضرر عليها لا حسي ولا معنوي، ولو كان هؤلاء الناس يفكرون قليلا لعلموا أن في قولهم: هذا التشريع ينقص من كرامة المرأة سبا لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمهات المؤمنين وغيرهن من الصاحبات الجليلات اللواتي تزوجن وفق أحكام الشرع رضي الله عنهن، فهل كن مهانات مهضومات الحقوق؟!

العدد 04 . 28 رمضان 1426 الموافق لـ 01 نونبر 2005

"لا تعارضوا السنة وسلموا لها"

دلّت نصوص كثيرة وافرة على التمسك بسنة النبي – صلى الله عليه وسلم– والتسليم لها دون معارضة، وتحكيمها واتخاذها ميزانا للأقوال والأعمال والأفكار والمذاهب.

من ذلك قوله سبحانه وتعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) النساء 65.

قال الحافظ ابن كثير– رحمه الله–:" وقوله (وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول – صلى الله عليه وسلم– في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا ولهذا قال:(ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة. . . ."اهـ تفسير القرءان العظيم446/1.

وقد عبّر إمامنا مالك ـ رحمه الله– عن ذلك بقوله:" لا تعارضوا السنَّة وسلموا لها" "معنى قول الإمام المطلبي إذا صح الحديث فهو مذهبي" لتقي الدين السبكي –رحمه الله–105.

وهذا هو حقيقة التواضع للدين، قال ابن القيم – رحمه الله–: "التواضع للدين هو الانقياد لما جاء به الرسول– صلى الله عليه وسلم– والاستسلام له والإذعان وذلك بثلاثة أشياء.

الأول: أن لا يعارض شيئا مما جاء به بشيء من المعارضات الأربعة السارية في العالم، المسماة: بالمعقول، والقياس، والذوق، والسياسة.

فالأولى: للمنحرفين أهل الكبر من المتكلمين الذين عارضوا نصوص الوحي بمعقولاتهم الفاسدة وقالوا: إذا تعارض العقل والنقل: قدمنا العقل، وعزلنا النقل إما عزل تفويض وإما عزل تأويل.

والثاني: للمتكبرين من المنتسبين إلى الفقه، قالوا: إذا تعارض القياس والرأي والنصوص: قدمنا القياس على النص، ولم نلتفت إليه.

والثالث: للمتكبرين المنحرفين من المنتسبين إلى التصوف والزهد، فإذا تعارض عندهم الذوق والأمر، قدموا الذوق والحال، ولم يعبؤوا بالأمر.

والرابع: للمتكبرين المنحرفين من الولاة والأمراء الجائرين، إذا تعارضت عندهم الشريعة والسياسة، قدموا السياسة، ولم يلتفتوا إلى حكم الشريعة.

فهؤلاء الأربعة: هم أهل الكبر، والتواضع: التخلص من ذلك كله.

الثاني: أن لا يتهم دليلا من أدلة الدين بحيث يظنه فاسد الدلالة، أو ناقص الدلالة أو قاصرها، أو أن غيره كان أولى منه، ومتى عرض له شيء من ذلك فليتهم فهمه، وليعلم أن الآفة منه، والبلية فيه، كما قيل:

وكم من عائب قولا صحيحا   وآفته من الفـــهم السقيم
ولكن تأخذ الأذهان مـــنه   على قدر القرائح والفهوم

وهكذا الواقع في الواقع حقيقة : أنه ما اتهم أحد دليلا للدين إلا وكان المتهم هو الفاسد الذهن، المأفون في عقله، وذهنه، فالآفة من الذهن العليل، لا في نفس الدليل.

وإذا رأيت من أدلة الدين ما يشكل عليك، وينبو فهمك عنه فاعلم أنه لعظمته وشرفه استعصى عليك، وأن تحته كنزا من كنوز العلم، ولم تؤت مفتاحه بعد هذا في حق نفسك.

وأما بالنسبة إلى غيرك: فاتهم آراء الرجال على نصوص الوحي، وليكن ردها أيسر شيء عليك للنصوص، فما لم تفعل ذلك فلست على شيء ولو.. ولو.. وهذا لا خلاف فيه بين العلماء.

قال الشافعي قدس الله روحه: أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله– صلى الله عليه وسلم– : لم يحل له أن يدعها لقول أحد.

الثالث : أن لا يجد إلى خلاف النص سبيلا ألبتة، لا بباطنه، ولا بلسانه، ولا بفعله، ولا بحاله، بل إذا أحس بشيء من الخلاف: فهو كخلاف المُقْدِمِ على الزنا، وشرب الخمر، وقتل النفس، بل هذا الخلاف أعظم عند الله من ذلك، وهو داع إلى النفاق، وهو الذي خافه الكبار، والأئمة على نفوسهم.

واعلم أن المخالف للنص– لقول متبوعه وشيخه ومقلده أو لرأيه ومعقوله، وذوقه، وسياسته، إن كان عند الله معذورا، ولا والله ما هو بمعذور– فالمخالف لقوله لنصوص الوحي أولى بالعذر عند الله ورسوله، وملائكته، والمؤمنين من عباده.

فواعجبا إذا اتسع بطلان المخالفين للنصوص لعذر من خالفها تقليدا، أو تأويلا، أو لغير ذلك، فكيف ضاق عن عذر من خالف أقوالهم، وأقوال شيوخهم، لأجل موافقة النصوص؟ وكيف نصبوا له الحبائل، وبغوه الغوائل، ورموه بالعظائم، وجعلوه أسوأ حالا من أرباب الجرائم؟ فرموه بدائهم وانسلوا منه لِوَاذًا وقذفوه بمصابهم وجعلوا تعظيم المتبوعين ملاذا لهم ومعاذا والله أعلم"اهـ "مدارج السالكين"2/ من 347 إلى 349.

■ رشيد مومن الإدريسي

خطر تصدر الجهال على الأمة

لا آفة على العلوم وأهلها، أضر من الدخلاء فيها، وهم من غير أهلها، فإنهم يجهلون، ويظنون أنهم يعلمون، ويُفسدون ويُقَدِّرُون أنهم يُصْلحون.

قال الشافعي– رحمه الله–: فالواجب على العالَمين ألا يقولوا إلا من حيث علموا، وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساك أولى به، وأقرب من السلامة له إن شاء الله (نقلا من التعالم للشيخ بكر5-6.

ورحم الله الحافظ ابن حجر حيث قال في فتح الباري: إذا تكلم المرء في غير فنه أتى بهذه العجائب قال العلامة أحمد شاكر– رحمه الله– معلقا: وقد قال هذه الحكمة الصادقة في شأن رجل عالم كبير من طبقة شيوخه وهو محمد بن يوسف الكرماني، شارح البخاري، إذ تعرض في شرحه لمسألة من دقائق فن الحديث لم يكن من أهلها على علمه وفضله، فتعرض لما لم يتيقن معرفَتَه، والكرماني هو الكرماني، وابن حجر هو ابن حجر انظر كلمة الحق 114.

فإذا كان هذا في حق عالم من العلماء، فماذا سنقول في زمن قيل فيه:

تصدر للتدريس كل مهـــوس   بليد تسمى بالفقيه المـدرس
فحق لأهل العلم أن يتمســكوا   بيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها   كُلاها وحتى سامها كل مفلس

فكم رأينا نزالا في حلائب العلم، من رائم للبروز قبل أن ينضج، وتزبب قبل أن يتحصرم.

فهذا القطيع حقا هم غول العلم، بل دودة لزجة، متلبدة، زاده التعالم.

لكن كما قال بعضهم:

كل من يدعي بما ليس فيه   فضحته شواهد الامتحان

قال قتادة – رحمه الله–:" من حدث قبل حينه، افتضح في حينه" نقلا عن التعالم 9.

وذلك بكشف الأجلة عن حقيقته، وهتك باطله وما ينطوي عليه من خسف وإفك، ومسلك مردٍ فج، تبيانا لنزع الثقة منه، والتحذير من الاغترار به.

إذن فالخوف على الأمة من هؤلاء الذين لبسوا ثياب العلم الشرعي– وما هم من العلم الشرعي في شيء– لهو الخوف الصادق على الأمة من الفساد والانحراف.

ذلك بأن تصدر الجهال – في حين فَقْدِ العلماء الصادقين المتمكنين– باب واسع للضلال والإضلال، وهذا ما أخبر به النبي– صلى الله عليه وسلم– كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص– رضي الله عنهما–:" إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا" أخرجه البخاري ومسلم.

قال الحافظ ابن حجر– رحمه الله– في شرحه للحديث:"و في هذا الحديث الحث على حفظ العلم، والتحذير من ترئيس الجهلة، وفيه أن الفتوى هي الرياسة الحقيقية، وذم من يقدم عليها بغير علم" الفتح 195/1

ولقد تنبه أهل العلم المخلصون لخطورة هذا الصنف من الناس على دين الأمة وعقيدتها ومصيرها، فقضوا بوجوب الحذر والتحذير منهم، وعدم الأخذ عنهم.

من ذلك قول الراغب الأصبهاني– رحمه الله– :" لا شيء أوجب على السلطان من رعاية أحوال المتصدين للرياسة بالعلم، فمن الإخلال بها ينتشر الشر، ويكثر الأشرار، ويقع بين الناس التباغض والتنافر....



قال: ولمَّا ترشح قوم للزعامة في العلم بغير استحقاق، وأحدثوا بجهلهم بدعا استغلوا بها عامة، واستجلبوا بها منفعة ورياسة، فوجدوا من العامة مساعدة بمشاركتهم لهم، وقرب جوهرهم منهم، وفتحوا بذلك طرقا مُنْسَدة، ورفعوا به ستورا مُسْبَلَة، وطلبوا منزلة الخاصة فوصلوها بالوقاحة، وبما فيهم من الشره، فبدعوا العلماء وجهلوهم اغتصابا لسلطانهم، ومنازعة لمكانهم، فأغروا بهم أتباعهم حتى وطئوهم بأظلافهم وأخفافهم، فتولد بذلك البوار والجور العام والعار".اهـ نقلا عن فيض القدير للمناوي274/2.

وهل حَلَّ بالناس ما حَلَّ من انحراف بعض الشباب في معتقده، وظهور بوادر الفتن المظلة، وتجرء الصغار على كبار العلماء وخروجهم عن طريقتهم– المستقاة من الكتاب والسنة والأثر مع معرفة تامة بمقاصد الشريعة ومواقع المصلحة– إلا لاختلال الميزان الذي يوزن به العلماء، وارتقاء من لا علم له إلى مصاف الكبار الأجلاء؟!

لقد صدق الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود– رضي الله عنه– عندما قال:" إنكم في زمان كثير فقهاؤه، قليل خطباؤه، قليل سؤاله، كثير معطوه، العمل فيه قائد للهوى، وسيأتي من بعدكم زمان قليل فقهاؤه، كثير خطباؤه، كثير سؤاله، قليل معطوه، الهوى فيه قائد للعمل، اعلموا أن حسن الهدي في آخر الزمان خير من بعض العمل" صحيح الأدب المفرد للشيخ الألباني – رحمه الله ـ .

قال الحافظ:" في الفتح وسنده صحيح، ومثله لا يقال من قبل الرأي" اهـ 510/10.

وقال ابن عبد البر– رحمه الله– في الاستذكار:" هذا الحديث قد روي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه– من وجوه متصلة حسان متواترة.

ثم قال: والعيان في هذا الزمان على صحة معنى هذا الحديث كالبرهان" اهـ 345/6.

هذا في زمانه – رحمه الله– فكيف بزماننا هذا؟!

فرحم الله الإمام ابن القيم حيث قال:

هـــذا وإني بعد ممتحن بأر   بعة وكلهم ذو أضــــغان
فـــظ، غليظ، جاهل متمــعلم   ضخم العمامة، واسع الأردان
متفيهق، متضلع بالجهــل، ذو   ضلع، وذو جلح من الــعرفان
مزجى البضاعة في العلوم وإنه   زاج من الإيهام والهذيـــان
يشكو إلى الله الحقوق تظلــما   من جهله كشكاية الأبـــدان
من جاهل متطبب يفتي الورى   ويحيل ذاك على قضا الرحمان

العدد 04 • 28 رمضان 1426 الموافق لـ 01 نوفمبر 2005

من مصابيح السبيل

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -:" وكثير من الناس إذا رأى المنكر أو تغيُّر كثير من أحوال الإسلام جزع وكل وناح كما ينوح أهل المصائب، وهو منهي عن هذا، بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الإسلام، وأن يؤمن بالله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأن العاقبة للتقوى وأن ما يصيبه فهو بذنوبه فليصبر، وإن وعد الله حق، وليستغفر لذنبه وليسبح بحمد ربه بالعشي والإبكار"الفتاوى 29518.

قال الشيخ عبد الرحمان السعدي- رحمه الله - في تفسير قوله تعالى (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) النساء83. قال:" هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها، فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك، وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: (لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولّى مَنْ هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ، وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيُقدِم عليه الإنسان؟ أم لافيحجم عنه؟" تيسير الكريم الرحمن2/112-114.

السمات البارزة لكتابات الخوارج التكفيريين

كتابات عبد المنعم مصطفى حليمة (أبو بصير) نموذجا

ابتلي كثير من شباب الأمة بأفكار ومعتقدات فاسدة، لا تمت إلى الحق بصلة ولو من بعيد، فهي أفكار خارجية حرورية، خطرها شديد، وباطلها مديد..

تولى كبر نشرها- على قاعدة الذين لا يعلمون ولمنهج السلف يخالفون!!- جماعة من حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، ممن يجهلون حقائق الأسماء والأحكام.

وسنُبِّين للقارئ الكريم عوار القوم بذكر مجموعة من سمات كتاباتهم من خلال الوقوف مع رويبضة من رويبضاتهم - كنموذج -، وهو المدعو عبد المنعم مصطفى حليمة (أبو بصير)، حيث ألف مجموعة من الكتب بعناوين بارزة، لم يراقب فيها الرب المجيد، حيث تكلم- بجرأة بالغة- في مسائل من أصول أهل السنة، بلا إحكام ولا قول سديد، فنقول كما قال رب العزة: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) سورة ق.

ومن أشهر كتب هذا الجاهل، الجهول، المجهال، كتاب أسماه: "الطاغوت" وكتاب: "الإنتصار لأهل التوحيد والرد على من جادل عن الطواغيت"!! وغيرهما من الكتب التي جرّت- بما تتضمنه من فكر حروري خارجي- مصائب وبلايا، وفتن ورزايا، لا تزال الأمة تُكْوَى- شديدا- بنارها، وتتجرع - بمرارة- ويلاتها.

والناظر فيها، والكاشف لخوافيها، يعلم يقينا بأن صاحبها من العلم خواء .. وعن طريق الحق في التواء.

فإن"العلم شيئان: إما نقل مصدق، وإما بحث محقق وما سوى ذلك: فهذيان مزوق".اهـ "الرد على البكري" لشيخ الاسلام - رحمه الله- 7292.

فلا يخفى حال هؤلاء مثل هذا الرويبضة عن الفطن من القراء، ولا يغيب خطرهم عن الألبّاء، فضلا عن طلبة العلم النجباء.

فسل ذا خطرة ينبيك عنهم
لتعلم كم خبايا في الزوايا
جهالات وظلم وافتراء
وكِذبُ الحاقدين له بقايا

وسأحرص- فيما سأحذر منه- على عدم التطويل والتفريع، ولكنها تنبيهات، وإشارات تدفع الظلم - إن شاء الله-، وترد الحيف، وتنقض الشبهات...

فنقول: مما يلاحظ على هذا الجاهل في كتاباته:

1. **جهله بالعلم الشرعي، وأخذه من غير أصوله، وقلة فقهه في الدين**

فهذا الرويبضة غير معروف في أوساط العلم والعلماء، ولم يعرف عنه الطلب على المشايخ الفضلاء، وما عرف إلا بعد مخالفته لكبار أهل العلم الأجلاء.

فهو ليس مؤهلا من الناحية العلمية، ولا صاحب تخصص في العلوم الشرعية، إذ لم يدرسها على علماء موثوقين ولا جهابذة معروفين.

قال الإمام ابن سيرين - رحمه الله-:" إن هذا الأمر دين فانظروا عمَّن تأخذون دينكم"اهـ عمَّن جمعوا بين الصبر واليقين، فهم أهل الإمامة في الدين، كما ذكر شيخ الإسلام- عليه رحمة رب العالمين-.

2. **ضلاله عن منهج الاستدلال الصحيح، وجهله بفهم السلف، وعدم اعتباره لقواعد المصالح والمفاسد.**

قال الشاطبي- رحمه الله-:" اتباع ظواهر القرءان على غير تدبر ولا نظر في مقاصده ومعاقده، والقطع بالحكم به ببادئ الرأي والنظر الأول، هو الذي نبه عليه قوله في الحديث (يقرؤون القرءان لا يجاوز حناجرهم) ومعلوم أن هذا الرأي يصد عن اتباع الحق المحض ويضاد المشي على الصراط المستقيم..."اهـ"الموافقات"4/179.

وقال شيخ الإسلام- رحمه الله- :" الاحتجاج بالظواهر مع الاعراض عن تفسير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه طرق أهل البدع" بالفتاوي" 7/375.

3. **التكفير بلا ضوابط شرعية، ولا فقه ولا تثبت.**

قال القرطبي- رحمه الله-:" وباب التكفير باب خطير، أقدم عليه كثير من الناس فسقطوا، وتوقف فيه الفحول، ولا نعدل بالسلامة شيئا"اهـ" المفهم" 3/111، وعنه "الفتح" 12/314.

4. **خلطه بين التكفير المطلق والمعين وعدم تفريقه بينهما، وجهله بمسألة قيام الحجة.**

قال شيخ الإسلام- رحمه الله-:" فقد يكون الفعل أو المقالة كفرا، ويطلق القول بتكفير من قال تلك المقالة، أو فعل ذلك الفعل، ويقال: من قال كذا فهو كافر، أو من فعل ذلك فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قال ذلك القول أو فعل ذلك الفعل لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها، وهذا أمر مطرد في نصوص الوعيد عند أهل السنة والجماعة، فلا يشهد على معين من أهل القبلة بأنه من أهل النار، لجواز أن لا يلحقه، لفوات شرط أو لثبوت مانع"اهـ" الفتاوي" 19535.

5. **جهله بفقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

قال شيخ الإسلام - رحمه الله-:" ومن الصلاح أن يأتي بالأمر والنهي على الصراط المستقيم، وهو أقرب الطرق إلى حصول المقصود.

ولا بد في ذلك من الرفق.. ولابد أن يكون حليما صبورا على الأذى... فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح... فلا بد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر.

العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده.

وإن كان كل من هذه الثلاثة مستصحبا في هذه الأحوال، وهذا كما جاء في الأثر عن بعض السلف: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يأمر به، فقيها فيما ينهى عنه، رفيقا فيما يأمر به، رفيقا فيما ينهى عنه، حليما فيما يأمر به، حليما فيما ينهى عنه" اهـ" الفتاوى" 27/136-137.

6. **سوء أدبه مع العلماء، والجرأة على الطعن فيهم والتشهير بهم.**

وما لنا في هذا إلا أن نقول قولة ابن عساكر - رحمه الله- : " واعلم يا أخي- وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته- أن لحوم العلماء ..مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، لأن الوقيعة فيهم بماهم منه براء أمر عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والإفتراء مرتع وخيم، والاختلاف على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم"اهـ" تبيين كذب المفتري" 28 .

7. **خوضه في مسائل وقضايا خطيرة، لا يبث فيها إلا خواص أهل العلم.**

قال شيخ الإسلام - رحمه الله- في معرض كلامه عن الجهاد:"وفي الجملة فالبحث في هذه الدقائق من وظيفة خواص أهل العلم"اهـ" منهاج السنة" 4/504.

وأخيرا:

ما أحسن ما قاله الحافظ القرطبي- رحمه الله- واصفا أسلاف هؤلاء القوم من الخوارج:"وهذا كله من آثار عبادات الجهال الذين لم يشرح الله صدورهم بنور العلم، ولم يتمسكوا بحبل وثيق، ولا صحبهم في حالهم ذلك توفيق، وكفى بذلك أن مقدمهم رد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ونسبه إلى الجور، ولو تَبَصَّرَ لأبصرعن قرب أنه لا يتصور الظلم والجور في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما لا يتصور في حق الله تعالى"اهـ"المفهم" 3/114.

تقرير ميليس .. الفخ الأمريكي لسوريا

لم تكن نتائج تحقيق ميليس مفاجئة لأحد، فالكل استعد لسماع هذه النتيجة. فالذي أصبح يعرفه المثقفون والخبراء في كل أنحاء العالم، هو أن الأمم المتحدة– بكل فروعها ومنظماتها– أصبحت أداة طيّعة في يد الولايات المتحدة للوصول إلى أغراضها. فالولايات المتحدة تريد أن تلبس قراراتها وإجراءاتها الظالمة ضد الدول العربية والإسلامية لباس القانون، وتريد أن تغلفها بقرارات دولية تنطلي على الحمقى والغافلين.

وما أشبه الليلة بالبارحة، حيث كانت فرق التفتيش على السلاح في العراق تتعاقب، لجنة وراء أخرى، وكل منها لم تجد شيئاً مما تبحث عنه، ولكن كانت النتيجة معروفة مسبقاً وهي غزو واحتلال العراق.

إن ما يحدث من مناقشات في مجلس الأمن لتقرير ميليس ما هي إلا محاولات لذر الرماد في العيون، والتلبيس على الناس، وممارسة الدجل السياسي في أوضح صوره.

إن القرارات أصبحت صفقات بين الدول الكبرى لتحقيق مكاسبها على حساب أمن المنطقة وكثير من المحللين شبهوا لجنة ميليس بلجنة التحقيق بشأن أسلحة الدمار الشامل العراقية وخصوصا طريقة تكوينها، فكيف لهذه اللجنة أن تخرج بتقرير يفيد بأن هنالك تعاون وتجاوب من إسرائيل والأردن وعدم تجاوب من قبل سوريا؟. إننا لا نعرف حتى الآن ما هي طبيعة التعاون الذي حصل بين اللجنة وإسرائيل فهل استجوبوا إسرائيليين؟ رغم أن سوريا أبدت استعدادها للتعاون مع لجنة التحقيق منذ البداية بشرط عدم المساس بالسيادة وهذا حق مشروع لدولة لديها قوانينها الخاصة وقضائها. رئيس اللجنة – لغاية في نفس يعقوب – أعلن عن هذا التقرير بالشكل الذي خرج فيه لأن المخطط واضح وهو الإيقاع بسوريا وتحطيمها كما تم تحطيم العراق، ثم كسر التعاون بين الثلاثي غير المتعاون مع أمريكا [سوريا– إيران - حزب الله].

وبصدور تقرير ميليس ستضاعف الولايات المتحدة الأميركية ضغوطها على سوريا وتعمل بالتعاون مع فرنسا على وضع الملف السوري أمام مجلس الأمن الدولي ومحاولة فرض عقوبات على سوريا.

وقد أوضحت الولايات المتحدة جليا أن كل الخيارات ستبقى مفتوحة أمامها للتعامل مع سوريا بما في ذلك الخيار العسكري.

لكن المشكلات التي تواجهها أميركا في العراق تؤكد أن الخيار العسكري مستبعد إلي حد كبير على الأقل في الوقت الراهن .... لكن ما هو مؤكد وواضح هو أن النظام السوري قد أصبح معزولاً وظهره مسند إلي الجدار.

الغريب أنه مع أن تقرير ميليس حافل بالعبارات والاستنتاجات القائمة على الظن والترجيح والشك إلا أن ميليشيات المارينز الإعلامية المزروعة في شتى وسائل الإعلام الناطقة بالعربية، ظلت حريصة على تثبيت وتعميق الاتهام، دون أي التفات إلى تحفظات ميليس نفسه!!.

تدشين المواجهة

تقرير ميليس ربما يكون بداية تفاوض أو بداية مواجهة لدمشق مع الأسرة الدولية، فهو تقرير يندرج في إطار المساومات السياسية. وربما يكون طلقة إنذار موجهة إلى دمشق. وربما يكون المقصود منه هو حشر الأطراف لدفعهم إلى التعاون مع لجنة التحقيق التي أكدت على عدم التعاون بشكل كاف من جانب سوريا المتهمة بأنها أرادت تضليل التحقيقات.

إن التقرير على الصعيدين السياسي والمعنوي قوي، ولكنه ضعيف على الصعيد القضائي والقانوني ويطرح أسئلة أكثر مما يقدم إجابات.

وهناك شك في إمكانية أن يتمكن القضاة اللبنانيون المكلفون بمهمة متابعة التحقيق من استجواب أعمدة النظام السوري الذين تحدث التقرير عن احتمال تورطهم مثل آصف شوكت رئيس شعبة المخابرات العسكرية وصهر الرئيس السوري بشار الأسد أو ماهر الأسد شقيق الرئيس السوري وقائد الحرس الجمهوري. فالرئيس السوري لا يمكنه أن يضحي بشقيقه وصهره.



الحلم الأمريكي الإسرائيلي

أمريكا وإسرائيل تخططان منذ فترة معاً بشأن أنسب السيناريوهات في قضية التعامل مع الملف السوري، والأنباء القادمة من تل أبيب تقول إن الطرفين يبحثان عن شخصية سورية تكون مؤهلة لإدارة دفة الحكم في دمشق بعد عزل الرئيس الأسد من منصبه.

ويهتم الطرفان بالشخصية السورية الملائمة لوراثة الأسد، شريطة أن يتمكن الرجل من الحفاظ علي الأمن والنظام في سورية. وهناك تناقضات في الموقفين الإسرائيلي والأمريكي في هذه القضية، ففي حين تفضل إسرائيل أن يواصل الرئيس الأسد تبوء منصبه وهو ضعيف للغاية ومعزول عن العالم، يؤكد الأمريكيون أنهم معنيون جدا بتعيين خليفة له.

المصادر الأمريكية تقول إنه بات سهلا علي الإدارة الأمريكية المطالبة بتنحية الرئيس السوري من منصبه، والمطالبة أيضا بتسليم المتورطين السوريين في عملية الاغتيال إلي العدالة الدولية، كما حصل عندما قامت ليبيا بتسليم ضابطين في المخابرات الليبية واللذين كانا متورطين في إسقاط طائرة بان.ام الأمريكية فوق لوكربي.

من جانبها قالت صحيفة الفاينشال تايمز البريطانية إن الولايات المتحدة تبحث عن بديل للرئيس السوري بشار الأسد، يتسلم السلطة بعد الإطاحة بالنظام في دمشق.

كما تفكر واشنطن بتوجيه ضربات عسكرية لسورية من خلال الحدود مع العراق لمعاقبتها علي السماح للمقاتلين بالتدفق إلى العراق.

الإدارة تبحث في الداخل والخارج عن بديل للأسد، وهم يحبذون شخصا يساعدهم علي إحداث التغيير بسهولة .

غير أننا نرى أن السياسة الأمريكية تجاه سورية تركز على تغيير السلوك وليس النظام، فمن المهم للنظام الجديد إنهاء تدخل سورية في العراق ولبنان والنزاع الإسرائيلي - الفلسطيني.

لقد استثمرت الإدارة الأميركية المناخ المتوتر في لبنان، لتركيز الضغط على سوريا، وتمكنت إعلامياً من وضعها في قفص الاتهام، وتسييس الأجواء المحيطة بالتحقيق مما أثر على نتائجه. فقد تركز الضغط واشتد، فطرحت على البساط فكرة عزل سوريا وفرض حصار دولي عليها، لإجبارها على تقديم المزيد من المساعدة لواشنطن في العراق أولاً، أو لتعليق أسباب فشل القوات الأميركية وتخبطها على عدم التعاون السوري.

ومع تسريب الأخبار التي تتحدث عن ضرورة تغيير النظام السوري غير المتعاون تماماً، يرى كثير من الخبراء أن المقصود هو ممارسة أكبر قدر من الضغوط على الرئيس بشار الأسد لدفعه إلى تغيير سلوك النظام السوري تجاه واشنطن والانبطاح الكامل أمام إملاءاتها والدوران في فلكها، وأن واشنطن لا تريد تغيير بشار ولكن تريده أن يفعل مثلما فعلت ليبيا.

الاحتمالات والخيارات

ويرى الخبراء أن أمام سوريا ثلاثة احتمالات، الاحتمال الأول هو تفكك البلاد على إثر تغييرات شاملة يجريها الرئيس السوري.

ويستبعد الخبراء قيام بشار الأسد بإجراء إصلاحات سياسية شاملة تغير النظام من قمته وتضحي بمجموعة من كبار مساعديه وإبعادهم عن الحكم وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين وإجراء انتخابات برلمانية ورئاسية متعددة.

والاحتمال الثاني هو حدوث انقلاب عسكري نتيجة للعزلة الدولية يأتي بجنرال من داخل المجموعة الحاكمة الأمر الذي قد يؤدي إلي تحلل الدولة كمقدمة لانهيارها وضربوا مثلا بالاضطرابات الواسعة التي شهدتها سورية مؤخرا في مناطق الأكراد وجنوب سورية.

والاحتمال الثالث هو فقدان الشرعية الداخلية وتصاعد الاضطرابات الطائفية والعرقية، وانهيار الوحدة الوطنية الداخلية، مما يؤدي إلى حدوث انقلاب عسكري داخلي بقيادة أحد الضباط العلويين الكبار يطيح برموز النظام الحالي ويفتح صفحة جديدة مع الولايات المتحدة ويساند مشروعها في العراق.

ونحن نقول إن هناك خياران أمام النظام السوري لا ثالث لهما في ما يتعلق بتقرير ميليس:

الخيار الأول هو عدم التعاون بالشكل المطلوب مع الأمم المتحدة، والقاضي ميليس، أي عدم تسليم المطلوبين الكبار الذين وردت أسماؤهم وهم ماهر الأسد وآصف شوكتو حسن خليل وبهجت سليمان ورستم غزالة، وفاروق الشرع وأحمد جبريل.

الرفض سيعني أن سوريا ستواجه واحدة من حالتين لا ثالث لهما. الأولى الحالة العراقية يوم رفضت بغداد وعاندت، فحوصرت وتنازلت متأخرة جدا وأخيرا تم جرها إلى حرب حتى انهارت. والحالة الليبية عندما رفضت طرابلس التعاون فحوصرت حتى أنهكت وعندما أوشكت على الملاحقة العسكرية، قبلت ما كانت ترفضه في الماضي وانتهت أزمتها.

والخيار الثاني هو الرضوخ للضغوط الأمريكية، وتسليم جميع المطلوبين، وتفكيك البرامج النووية والكيماوية، والتعاون بالكامل مع الأجهزة والسياسات الأمريكية، وتغيير سياسة النظام وتوجهاته بالكامل.

النظام السوري يعلم جيدا، وبحكم التجربة العملية، أن التعاون، كاملا كان أو ناقصا، سيؤدي إلى النتيجة نفسها، أي إسقاط النظام من خلال عقوبات متدرجة تبدأ بالحظر الجوي، وتتطور إلى الحصار الاقتصادي، وتنتهي بضربات عسكرية.

القبول والتعاون سيعني أن يفصل النظام السوري بينه وبين الجريمة، مهما كانت الحقيقة، والتضحية بالمتورطين الأساسيين، وبالتالي تجنب السنوات الكارثية المقبلة. هو الحل الأهون الذي سيوفر الكثير من الآلام والمتاعب، وسيجنب سورية كارثة محققة.

والمشكلة التي تواجه سوريا أنها دولة عربية كبيرة وزعيمة للقومية العربية، وموقعها الجغرافي استراتيجي في قلب المنطقة العربية، ومن الصعب أن تعلن الانسحاق الكامل أمام المطالب الأمريكية.

لكن المؤكد أن الإدارة الأمريكية ستستغل التقرير لفرض عقوبات علي سورية، وسوف تتدرج في الضغط والتدخل حتى تنجح في تغيير النظام، سواء من الداخل أو من الخارج، وإن كان المرجح أنها ستعمل على تغييره من الداخل لأنها ليست في وضعية تسمح لها بفتح جبهة ثالثة بعد أفغانستان والعراق.

وقد يراهن الرئيس السوري علي الصين وروسيا لمنع عقوبات واشنطن في مجلس الأمن، ولكن ذلك ليس مضموناً. فروسيا لم تقف مع صدام حسين رغم إعطائه لشركاتها عقود نفط بأربعين مليار دولار. وكذلك الموقف الصيني غير مضمون وغاية ما يمكن أن يفعله هو أن يمتنع عن التصويت كما حدث في مشكلة العراق.

السيد أبو داود

العدد 04 . 28 رمضان 1426 الموافق لـ 01 نوفمبر 2005

لماذا اخترنا ملف "الإرهاب"؟

من أنجع الأسلحة التي ابتكرها الغرب منذ عقود من الزمن والتي يستغلها في تركيع الشعوب الإسلامية, ما أطلق عليه باسم الحرب "الإرهاب"، ورغم أن البلدان الإسلامية يتواجد بها من يحمل فكر التطرف الديني، إلا أن الإكراهات التي عرفتها هذه البلدان بعد 11 شتنبر 2001 أوقعت الأمة الإسلامية في ظلمات الفتنة، وألقت العداوة بين أبنائها، ففريق اغتر بزخرفة القول الأمريكية وانطلى عليها التهويل فصادف قلبا حاقدا فتمكن منه، أمثال العلمانيين ومن اغتر بتلبيساتهم وشبهاتهم وهم قليل بحمد الله ومنّه، وفريق وقع في الهرج والمرج باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!!وتحت مسمى الجهاد!! والله يعلم أنه فساد، والكتاب والسنة يشهدان على بطلانه وبدعيته وتحريمه.

في خضم هذا المعترك ظُلِم أهل السنة والوسطية والاعتدال واتهموا بالغلو والإرهاب وهم من ذلك براء، وضاع الناس بين ذلك كله واختفت كثير من الحقائق والتبست على العاقل منهم، فكيف بمن سواه، فكان لزاما على كل ناصح لأمته، أن يوضح حقيقة مصطلح "الإرهاب"، فإن الكشف عن مفهومه من العوامل الرئيسة للتخلص من الخلل الذي أثقل كاهل الأمة، وأضعف قوتها، وفرَّق كلمتها، وأباح بيضتها، وشوَّه صورة الإسلام عند كثير من الأنام.

فإن شرعنا الحكيم، وديننا القويم، دين عدل ووسطية ورحمة، يحرم الإفساد وينهى عن الغلو- بجميع صوره- كما ينهى عن التقصير، فلا إفراط ولا تفريط، ويحرم الإرهاب وترويع الآمنين، ويحرم قتل النفس المعصومة.

هذا هو الحق بأبهى صوره، وأجلى مظاهره، سار عليه أئمة المسلمين وعلماؤهم- الذين هم عدول الأمة، وأمناء الشريعة- على مر العصور، وكرِّ الدهور.

أما ما يتهافت عليه سفهاء الأحلام، حدثاء الأسنان، بعيدا عن نهج العلماء وخلافا لسبيل الكبراء: فهو الباطل بأشنع صوره، والضلال بأسوء مظاهره!!.

مع العلم أن تطرف بني علمان، كان سببا رئيسا في اندفاع كثير من الشباب إلى ما اندفعوا إليه كرد فعل، فإن التطرف ينتج تطرفا مضادا له، فكل من خرج عن طريق الاستقامة والإعتدال والسداد، إلى طريق الغواية والضلال والإفساد كان متطرفا.

فإن كلا من الطائفتين- الغلاة في الدين والعلمانيين- يشتركان في الإساءة إلى الإسلام، وتشويه صورته، وخدمة أغراض أعدائه.

وصدق الإمام ابن حزم- رحمه الله- حيث قال في "الفصل"98/5: "فاعلموا- رحمكم الله- أن جميع فرق الضلالة لم يُجْر الله تعالى على أيديهم خيرا، ولا فتح من بلاد الكفر قرية، ولارفع للإسلام راية، وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين، ويفرقون كلمة المؤمنين، ويَسُلون السيف على أهل الدين، ويسعون في الأرض مفسدين "اهـ

لذا ونظرا لما لموضوع الإرهاب ومتعلقاته من خطورة على البلاد والعباد، ارتأينا أن نفرده بملف حاولنا من خلال أوراقه أن نجلِّي ما التبس على أبنائنا من جرَّاء المزايدات السياسية للعلمانيين، وما توارى وراء شبهات المتطرفين. والله المستعان وعليه التكلان، وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله.

▪ تعريــف الإرهــاب

- إعداد: نبيل غــزال

هذا المصطلح ظهر في الآونة الأخيرة، وخصوصاً بعد ما يطلق عليه "أحداث 11سبتمبر 2001"، وكان الاهتمام به على أعلى المستويات الإعلامية والدولية، وركزت الحملة فيه على هذه القضية وعلى هذا المصطلح (الإرهاب)، ومحاربته ومحاربة من ينسب إليه وهو ما يسمى بالإرهابي، ولكننا نرى أن هذه الحملة بدأ يَتَحَدَّدُ مسارُها شيئاً فشيئاً ويَضِيقُ إطارها حتى كاد ينحصر هذا المصطلح في الإسلام والمسلمين، فصارت الأصابع تشير إليهم دائماً بهذه التهمة والتي تعتبر في العرف الدولي جريمة من أعظم جرائم العصر.

لكن اللافت للنظر، هو أن هذا المصطلح وإلى الآن لم يتحدد مفهومه، بل تشن الحملة ضده بدون تحديد واضح المعالم لما هو الإرهاب ومن هو الإرهابي، وكيف يكون هذا الشخص أو تلك الجماعة أو الدولة أو الدول إرهابية، كل هذا لم يتحدد دولياً، وقد ذكر البعض أن عدم التحديد هذا مقصود.



وعلى كلّ حال فإن محاربة مصطلح وشن الحملات المتابعة على أعلى المستويات الإعلامية والأمنية والدولية عليه، مع عدم معرفة حدوده تعتبر حربا على مجهول، وهذا من شأنه أن يوقعنا في إشكالات كثيرة من أهمها:

– أن نعادي أطرافاً على أنهم إرهابيون وليسوا كذلك وهذا ظاهر فيمن يحارب ويقاوم لأجل أن يخلص بلاده من المحتل مثلا.

– أن يترك أطراف هم أشد عنفاً وعداوة وإفساداً فلا يقاومون ولا ينكر فعلهم لأن هذا المصطلح لم يطلق عليهم وإن كان منطبقاً عليهم تماما.

إن الإسلام لا يقر استخدام الألفاظ المحتملة لعدة معان من غير تمييز المراد منها، لأن هذا الدين الحنيف إنما جاء بالوضوح والصراحة والصدق قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ) التوبة119

والإرهاب الذي نحن بصدد الحديث عنه، أصله في اللغة من مادة (ر.هـ.ب) وهذه المادة كما يقول ابن فارس – رحمه الله تعالى – لها أصلان في اللغة: أحدهما يدل على خوف، والآخر يدل على دقة وخفة.

فالأول (وهو الخوف): الرهبة تقول: رهبت الشيء رهباً ورهباً ورهبة.

والتَرَهُّب: التعبد، ومن الباب الإرهاب، وهو قدع الإبل من الحوض وذيادها.

وفي اللسان، رهب بالكسر، يرهب رهبة ورُهبا بالضم، ورَهَباً بالتحريك أي خاف، ورهب الشيء رَهباً ورُهباً ورهبة: خافه... إلى أن قال:.. وأرهبه رهبه واستَرهَبه، أخافه وفزعه.

ونلاحظ هنا أن أصل الكلمة اللغوي، يدل على الخوف وعلى استدعاء الخوف فالإرهاب من قولك أرهب يرهب إرهاباً، فأصله أرهب أي خوف وفزع كما مر.

وقد وردت لفظة (رهب وأرهب) في القرآن الكريم في مواضع عديدة، منها:

1. قوله تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) البقرة

فمعنى قوله تعالى: (وَإِيَّايَ فَارْهَبُون) أي خافون، والرُّهْبُ والرَّهْبة: الخوف، ويتضمن الأمر به معنى التهديد.

2. قوله تعالى: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ) فمعنى قوله تعالى (تُرْهِبُون) أي تخيفون.

يقول ابن العربي المعافري المالكي في تفسير (تُرْهِبُون) أي تخيفون بذلك أعداء الله وأعداءكم من اليهود والنصارى وكفار العرب.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "يقال منه أرهبت العدو ورهّبته، فأنا أُرهبه وأرهّبه إرهابا وترهيبا وهو الرَّهب والرُّهب، ومنه قول طفيل الغنوي:

ويل أم حي دفعتم في نحورهم
بني كلاب غداة الرعب والرهب

ويقول في معنى الآية: "..وأعدّوا لهؤلاء الذين كفروا بربهم الذين بينكم وبينهم عهد إذا خفتم خيانتهم وغدرهم أيها المؤمنون بالله ورسوله ما استطعتم من قوة. يقول: ما أطقتم أن تعدوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم من السلاح والخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم".

من هنا يظهر أن المراد إعداد القوة وإظهارها لإخافة من يخشى منهم الخيانة والغدر والاعتداء علينا.

وهذا الأمر مشروع، وهو أمر مصلحي ظاهر لدى كل الأعراف والدول، ولا يمكن لأي دولة أن تتخلى عن هذا لأن معنى التخلي عن هذا: الاستسلام لكل عدو أراد أن يعتدي على الدولة فتكون الدولة لقمة سائغة لأعدائها.

وهذا زيادة على كونه محرما في شريعة الإسلام، فإنه أيضا مخالف لصريح العقول، بل إن الأنظمة الدولية تنص على ذلك من باب الدفاع عن النفس، وهذا يدل على أنه عرف عام لكل البشر، وقد جاء ذلك في الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة حيث تقول المادة 51 منه: "ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينتقص الحق الطبيعي للدول، فرادى أو جماعات، في الدفاع عن أنفسهم إذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء الأمم المتحدة..." إلى آخر المادة، والمقصود أن هذا حق لا يمكن لأي أحد أن يعترض عليه.

وعليه فإن الدلالة اللغوية لهذا المصطلح واضحة وهي استدعاء الخوف والفزع أو بعبارة أخرى هو التخويف.

أما الحقيقة العرفية وهي ما لم تتبلور إلى الآن، فنعرض هنا لبعض التعاريف التي وقفنا عليها:

1. في موسوعة السياسة: "الإرهاب هو استخدام العنف غير القانوني أو التهديد به، بأشكاله المختلفة: كالاغتيال والتشويه والتعذيب والتخريب، بغية تحقيق هدف سياسي معين مثل كسر روح المقاومة عند الأفراد، وهدم المعنويات عند الهيئات والمؤسسات، كوسيلة من وسائل الحصول على معلومات أو مال أو بشكل عام استخدام الإكراه لإخضاع طرف مناوئ لمشيئة الجهة الإرهابية".

2. الموسوعة العربية العالمية : "الإرهاب استخدام العنف أو التهديد به لإثارة الرعب".

3. قاموس "أكسفورد": جاء تعريف الإرهابي بأنه: "الشخص الذي يستعمل العنف المنظم لضمان نهاية سياسية".

4. تعريف الأمم المتحدة : الإرهاب تلك الأعمال التي تعرض للخطر أرواحاً بشرية بريئة أو تهدد الحريات الأساسية أو تنتهك كرامة الإنسان.

ويبقى تعريف المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي هو أفضل التعاريف وأقوها في بيان محاربة الإسلام للاعتداء والعنف وترويع الآمنين وأنه صدر من أقوى مجمع يمثل الإسلام وأهله: "العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان (دينه وعقله وماله وعرضه) ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد، والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أحوالهم للخطر.اهـ

وقد شرع الله الحكيم الجزاء الرادع للإرهاب والعدوان والفساد، وعده محاربة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم: في قوله تعالى (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) المائدة، ولا توجد في أي قانون بشري عقوبة بهذه الشدة نظراً لخطورة هذا الاعتداء الذي يعد في الشريعة الإسلامية حرباً ضد حدود الله وخلقه.

وبنظرة عامة لهذا التعريف نجد أن الإرهاب ليس له دين أو وطن أو جنسية معينة فهو يصيب الجميع حيث لا توجد حدود جغرافية له، فمسرح عملياته يشمل كل أجزاء الكرة الأرضية كما لا يوجد شكل معين لجرائم الإرهاب، فيمكن أن يأخذ صورة خطف طائرات وتغيير مسارها بالقوة، أو تدميرها، أو أخذ ركابها رهائن أو قتلهم، أو يتخذ شكل تفجيرات للمباني وغيرها، أو احتلال مواقع واستعمال السموم أو الغازات الضارة، وإجمالاً كل ما يُعتدى فيه على الأشخاص من اغتيالات وغيرها والأموال ووسائل النقل بأنواعها المختلفة.

متى ظهر مصطلح الإرهاب؟ ومن هم الإرهابيون تاريخيا؟

استنادا إلى ما جاء في الموسوعة العربية العالمية، ظهر هذا المصطلح إلى حيز الوجود إبَّان الثورة الفرنسية عام 1789- 1799 حين تبنى زعماء الثورة الذين استولوا على السلطة في فرنسا العنف ضد أعدائهم، وقد عرفت فترة حكمهم باسم "عهد الإرهاب".

فالإرهاب في الوعي الحديث استعمل للمرة الأولى لوصف الطرق الدامية والقسرية التي استعملتها الحكومة الجمهورية الفرنسية بين 1793 و1794 لفرض "عقيدتها" على بلد كان عنيدا، فالإرهابيون الأوائل كانوا رجالا مثل "روبسبير"، "سان جوس"، و"مارات"، الذين خططوا هذه السياسة المخيفة وطبقوها.

وبعد ذلك توالت العمليات والجماعات والحركات الإرهابية، ومن أبرزها "جماعة كوكلوكس كلات" وهي جماعة أمريكية استخدمت العنف لإرهاب المواطنين السود والمتعاطفين معهم.

وجماعة "الألوية الحمراء" في إيطاليا، و"زمرة الجيش الأحمر" في ألمانيا وكلاهما في ستينيات القرن العشرين وقصدهما تخريب الأنظمة السياسية والاقتصادية في بلديهما بقصد تطوير نظام جديد.

وهناك عصابات يهودية إرهابية اشتهرت قُبَيل استيلاء اليهود على فلسطين منها منظمة "إلها غانا الهاشومير" و"فرق العمل" و"البالماخ" "الأرغون" و"عصابة شيترن" و"منظمة كاخ".

ومن أبرز الشخصيات التي استخدمت العنف والإرهاب لإخماد أعدائها "أدولف هتلر" في ألمانيا و"بنيتو موسوليني" في ايطاليا و"جوزيف ستالين" في الاتحاد السوفيتي سابقاً.

وبهذه اللمحة التاريخية الموجزة نستفيد **عدة أمور منها:**

1. أن ظهور هذا المصطلح "الإرهاب" كان في نهايات القرن 18 الميلادي بينما ظهور الإسلام كان قبل ذلك بأكثر من 12 قرناً.
2. أن أول من أطلق عليهم مصطلح "الإرهاب" تاريخياً هم أوربيون في أوروبا فلا هم عرب ولا هم مسلمون.
3. أن تاريخ هذا المصطلح وتدرجاته كلها تسجل أن الإرهابيين ليسوا مسلمين بل ليسوا عرباً.
4. أن وجود جماعات أو أفراد يشملها هذا المصطلح "الإرهاب" بوجه أو بآخر – بمعناه المذموم – وهم ينتمون إلى الإسلام، هذا لا يعني إطلاقاً أن دينهم هو سبب هذا الإرهاب وهذا يثبته التاريخ، ويثبته العقل أيضاً إذ لو كان الأمر كذلك وسلمنا بهذه الدعوى ونحن نعلم أن ظهور الإسلام كان قبل أكثر من(1400عام) من الآن والإسلام على هذه الفرضية هو السبب في الإرهاب إذن سيتكون في العالم مجتمع إرهابي متراكم عمره أكثر من1400عام وهذا لا يمكن تصوره فضلاً عن تصديقه.

و مما يجب التنبيه عليه هنا من الأمور الخطيرة التي تُنذر بشر عظيم للبشرية كافة ألا وهو محاولة إقصاء ومحو بعض المصطلحات الإسلامية الشرعية التي وردت في كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مثل الجهاد في سبيل الله والولاء والبراء، ونحو ذلك من المصطلحات التي لا يخلو منها كتاب إسلامي.

بقي أن نعلم أن الإسلام قد صنف أعمالاً ضمن أشد الأعمال جرماً وأعظمها إثماً، وذلك منذ أكثر من (1400عام)، وهي الآن تصنف في القوانين المعاصرة ضمن "الأعمال الإرهابية" كالقتل العمد لمعصوم الدم والإفساد في الأرض و السرقة وغير ذلك كثير وهذا ما يسجل للإسلام تقدمه وسبقه في مكافحة هذه الآفة، ويظهر بجلاء أن المواثيق الدولية والقوانين الوضعية بصفة عامة لم تضف جديدا في هذا الباب.

سيكون هناك مناخ جيد لتجار الظلام، الذين سيستغلون هذه الأوضاع، وهي المنع من إظهار التعليم لهذه الألفاظ والعبادات تعليماً شرعياً صحيحاً منضبطاً، فيرفعون شعارات تهتف بنفس النصوص التي تذكر الجهاد وترغب فيه، ويبقى تفسيرها حسب توجهاتهم وأهوائهم، وهنا مكمن الخطر الداهم.

لذا، فالتشريع الإلهي هو الصالح فقط لأن يطبق في جميع الأرض على اختلاف الطبقات والدول واللغات والأعراف وأنه متى طبق سعدت البشرية وأمنت.

و مما يجب التنبيه عليه هنا من الأمور الخطيرة التي تُنذر بشر عظيم للبشرية كافة ألا وهو محاولة إقصاء ومحو بعض المصطلحات الإسلامية الشرعية التي وردت في كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مثل الجهاد في سبيل الله والولاء والبراء، ونحو ذلك من المصطلحات التي لا يخلو منها كتاب إسلامي.

فإن هناك من الدول والأفراد من يطالب بمحو ذلك من التعليم والحياة العامة ويواصلون الضغط في هذا الجانب بحجة مكافحة الإرهاب ونشر التسامح،

إن هذا الأمر هو السبب الأعظم في نشر الإرهاب المقيت لعدة أمور:

أولاً: أن هذا تدخل سافر في شريعة أنزلها رب العالمين ورضيها وأمر بها وهذا التدخل في نفسه من أعظم أنواع الإرهاب الفكري والعقدي.

ثانيا: أن هذه المصطلحات الشرعية مهما بُذلت الجهود في محوها، فإنها ستبقى لسبب يعرفه المسلم والكافر وهو أن هذا الدين قد تكفل الله بحفظه وبقائه "إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون"

ومحاولات طمس الألفاظ الشرعية والعبادات الربانية لن تصل في قمة ضغطها وتواصل الجهود فيها إلا إلى نتيجتين:

أولاهما: إزاحة تعليم هذه الألفاظ في الظاهر بشكل واضح وصريح مع العلم أنها ستبقى في القرآن وفي قلوب المسلمين عقيدة يدينون بها، وهذا يعني أن ذكرها سيبقى يتربى عليه أولاد المسلمين ما بقي القرآن الكريم محفوظا ومعنى هذا دوامها إلى يوم الدين.

ثانيهما: وأنه سيكون هناك مناخ جيد لتجار الظلام، الذين سيستغلون هذه الأوضاع، وهي المنع من إظهار التعليم لهذه الألفاظ والعبادات تعليماً شرعياً صحيحاً منضبطاً، فيرفعون شعارات تهتف بنفس النصوص التي تذكر الجهاد وترغب فيه، ويبقى تفسيرها حسب توجهاتهم وأهوائهم، وهنا مكمن الخطر الداهم.

فاللفظ لا يمكن لمسلم أن ينكر شرعيته ما دام نص عليه كتاب الله وتضمنته سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما منع وحجب بيان المعنى الصحيح المنضبط للجهاد وأحكامه باسم الحرب على الإرهاب، ظهر المعنى الباطل في أجلى صوره وبلا مقاومة شرعية ظاهرة، وبذلك ستخسر البشرية وستعاني من الإرهاب أجيالاً وعقوداً حتى يتراجعوا عن هذه المبادئ السيئة التي تجر إلى الخراب والدمار، ولن يتأتى هذا إلا بتقلد العلماء لمهامهم، وقيامهم بواجباتهم اتجاه دينهم وأمتهم قال تعالى:(وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) آل عمران187.

العدد 04 • 28 رمضان 1426 الموافق لـ 01 نوفمبر 2005

تعظيم الدماء وتأكيد حرمتها

يَحْسُنُ بنا قبل الحديث عن تحريم الدماء أن نتعرض بإيجاز لتعريف بعض من عصم الإسلام دماءهم من غير المسلمين وجعل من يتعرض لهم خائنا يستوجب بخيانته العقوبة في الدنيا والآخرة وهم:

الذميون: هم من أقام بدار الإسلام إقامة دائمة بأمان مؤبّد.

المعاهد: هم أهل البلد المتعاقد معهم.

المستأمنون: هم الحربيون الذي يدخلون دار الإسلام بأمان مؤقت لأمر (المبدع 313/3، 398 كشاف القناع 100/3)

فاعتداء المرء على غيره من أشد الأمور تحريماً، وأعظمها إثماً، وقد جاءت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة، تحذر من ذلك تحذيراً شديداً فنبدأ بالنصوص التي حرمت دماء الأصناف الثلاثة المذكورة أعلاه ثم نردفها بتلك التي حرمت دم المسلم على المسلم :

1. **حرمة دماء المعاهدين والذميين والمستأمَنين**

– عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ـ قال:

(من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً) رواه البخاري

– عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ـ قال: (ألا من قتل نفساً معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله، فقد أخفر ذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا) صحيح رواه الترمذي وابن ماجة

– عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ:

(من قتل معاهداً في غير كنهه، حرّم الله عليه الجنة) صحيح رواه أبو داود

كنهه: أي في غير وقته الذي يجوز فيه قتله.

وفي رواية (من قتل نفساً معاهدة بغير حلها حرم الله عليه الجنة أن يشم ريحها) صحيح رواه النسائي

قال الشوكاني رحمه الله: (المعاهد: هو الرجل من أهل دار الحرب يدخل إلى دار الإسلام بأمان، فيحرم على المسلمين قتله بلا خلاف بين أهل الإسلام حتى يرجع إلى مأمنه، ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى:(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) سورة التوبة أية 6

وذكر ابن عبد البر المالكي في كتابه التمهيد: "..وقد أجمع العلماء قاطبة على تحريم الغدر".

فإذا كان هذا الوعيد الشديد في قتل آحاد المعاهدين والذميين والمستأمنين، فكيف بنسف بيوتهم وعماراتهم، وهدمها على رؤوسهم، وإحراق سيارتهم وتدمير ممتلكاتهم بل وقتل من في بيوتهم من النساء والصبيان وكبار السن؟ مع أن قتل هؤلاء من الكفار المحاربين حرام لا يجوز بإجماع العلماء إلا لضرورة فكيف بنساء المعصومين من الذميين والمعاهدين والمستأمنين وأطفالهم؟ وهل هذا إلا غدر في العهود، ونقض للعقود، وخفر للذمم، وافتيات على الإمام مع ما فيها من تشويه صورة الإسلام والمسلمين، وتنفير الناس من الدخول في دينه الذي أرسل به محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون رحمة للعالمين.

> **فإذا كان هذا الوعيد الشديد في قتل آحاد المعاهدين والذميين والمستأمنين، فكيف بنسف بيوتهم وعماراتهم، وهدمها على رؤوسهم، وإحراق سيارتهم وتدمير ممتلكاتهم بل وقتل من في بيوتهم من النساء والصبيان وكبار السن؟ مع أن قتل هؤلاء من الكفار المحاربين حرام لا يجوز بإجماع العلماء إلا لضرورة فكيف بنساء المعصومين من الذميين والمعاهدين والمستأمنين وأطفالهم؟**

2. **حرمة دماء المسلمين بعضهم على بعض**

قال تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ)

قال القرطبي: "و في هذه الآية نهي عن قتل النفس المحرمة، مؤمنة كانت أو معاهدة إلا بالحق الذي يوجب قتلها مما في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم" .

وقال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً)

وقال تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً .)

بل قرن الله القتل بغير حق، بالشرك بالله في غير ما آية في كتابه العزيز، كما في قوله تعالى (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً).

قال ابن حزم في المحلى: (لا ذنب عند الله عز وجل بعد الشرك أعظم من شيئين. أحدهما: تعمد ترك صلاة فرض، حتى يخرج وقتها. والثاني: قتل مؤمن أو مؤمنة عمداً بغير حق).

بل لقد جعل الله قتل نفس الواحدة بغير حق كقتل الناس جميعاً وإحياءها كإحياء الناس جميعاً، فقال تعالى: (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً .)

وأما الأحاديث في تحريم القتل، وعاقبته الوخيمة فهي كثيرة جداً نذكر منها:

حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء). رواه البخاري ومسلم

قال الشوكاني في نيل الأوطار: (ففي هذا الحديث تغليظ أمر الدماء وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، وذلك لعظم أمرها وشدة خطره).

قال في الفتح: (في الحديث عظم أمر الدم، فإن البداءة إنما تكون بالأهم، والذنب يعظم بحسب عظم المفسدة وتفويت المصلحة، وإعدام البنية الإنسانية غاية في ذلك)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لن يزال المؤمن في فُسْحة من دينه ما لم يُصب دماً حراما) البخاري

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(لزوالُ الدنيا أهونُ على الله من قتل مؤمنٍ بغير حق) صحيح ابن ماجة.

ومن القصص المشهورة التي تدل على شناعة أمر القتل وسوء عاقبته: قصة أسامة بن زيد رضي الله عنهما، ولنتأمل فيها وهو يقول: (بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة من جهينة، قال : فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله، فكف عنه الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته. فلما قدمنا بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذاً، قال: أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ فما زال يكرِّرُها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم) رواه البخاري.

ولم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بما ذكر في تعظيم الدماء، وبيان خطرها بل أكد حرمتها، وغرس في النفوس إجلالها وتعظيمها، بمقارنتها بما أجمع المسلمون على إجلاله وتعظيمه، وهو البلد الحرام والشهر الحرام وكان ذلك في يوم مشهود، ومكان مبارك، ومجمع عظيم شهده ما يزيد على مائة ألف مسلم، حين خطب الناس يوم النحر بمنىً في حجة الوداع.

ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: (ألا أي شهر تعلمونه أعظم حُرمة ؟ قالوا ألا شهرنا هذا. قال: ألا أي بلد تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا بلدنا هذا. قال: ألا أي يوم تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: ألا يومنا هذا. قال: فإن الله تبارك وتعالى قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها كحرْمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا. ألا هل بلغت ثلاثاً؟ كل ذلك يجيبونه: ألا نعم. قال: ويحكم، أو ويلكم! لا ترجعنّ بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض). البخاري ومسلم

العدد 04 • 28 رمضان 1426 الموافق لـ 01 نوفمبر 2005

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الإرهاب

ومن المفارقات الغريبة بخصوص هذا الموضوع أن ينسِبَ فئام من الناس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بالدعوة إلى التكفير واستحلال دماء المسلمين، على رغم كونه يعتبر رأس المحاربين المتصدين لهذا المنهج الهدام المنحرف. ومن أراد أن يعرف فضل الرجل ومكانته العلمية والدعوية فليراجع ترجمته في مظانها، أما الناعتون له الرامون إياه بهذا الوصف فهم صنفان:

1. صنف من المسلمين، حاقد على كل من يدعو إلى الله على منهج السلف الصالح كغلاة الشيعة الروافض وغلاة الصوفية..

2. الصنف الثاني وهم أعداء الإسلام من أمريكان وأوربيين وم يعلق بذيلهم من العلمانيين والحداثيين، الذين يرون في حدود الله وأحكامه تطرفا ورجعية وماضوية و..

فنصرة للحق وكشفا للباطل وتبرئة لساحته هذا العالم العلم الشامخ الذي اعترف له الصديق والعدو بالعلم والفضل والورع والاستقامة من هذه الفرية نورد بعض كلامه.

قال ابن تيمية: (فليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين، وإن أخطأ وغلط، حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجّة، ومن ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا عند إقامة الحجة وإزالة الشبهة). مجموع الفتاوى (12/500).

(إن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع، يقال هي كفر قولا يطلق، كما دلت على ذلك الدلائل الشرعية، فإن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم، ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر، حتى يثبت في حقه شروط التكفير وتنتفي موانعه) مجموع الفتاوى (35/165).

(من كان من المؤمنين مجتهدا في طلب الحق، وأخطأ، فان الله يغفر له خطأه، كائنا ما كان، سواء كان في المسائل النظرية أو العملية. هذا الذي عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وجماهير أئمة المسلمين) مجموع الفتاوى (23/345).

(إن علماء المسلمين المتكلمين في الدنيا باجتهادهم، لا يجوز تكفير أحدهم بمجرد خطأ أخطأه في كلامه.. فإن تسليط الجهال على تكفير علماء المسلمين من أعظم المنكرات، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض) مجموع الفتاوى (35/100).

(فكان منهج أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون، ولا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا يعرف عن أحد من أئمة المسلمين، أنهم يكفرون المخطئ من العلماء، أما أهل البدع، فأنهم يكفرون بعضهم بعضا، لأنهم يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم). منهاج السنة .(60/3)

(فهؤلاء مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم وما هم عليه من العبادة والزهادة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلهم، وقتلهم علي بن أبي طالب ومن معه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لخروجهم عن سنة النبي وشريعته..) ا.هـ المجموع .(11/473)

(وكانت البدع الأولى مثل (بدعة الخوارج) إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته، لكن فهموا منه ما لم يدل عليه؛ فظنوا أنه يجوب تكفير أرباب الذنوب؛ إذا كان المؤمن هو البر التقي. قالوا: فمن لم يكن براً تقياً؛ فهو كافر، وهو مخلد في النار.

ثم قالوا: وعثمان وعلي ومن والاهما ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله، فكانت بدعتهم لها مقدمتان:

(الواحدة): أن من خالف القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه؛ فهو كافر.

(والثانية): أن عثمان وعلياً ومن والاهما كانوا كذلك.

ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا؛ فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام، فكفر أهلها المسلمين. واستحلوا دماءهم وأموالهم، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث صحيحة في ذمهم والأمر بقتالهم) المجموع (13/30-31).

(وإذا عرف أصل البدع، فأصل قول الخوارج أنهم يكفرون بالذنب، ويعتقدون ذنباً ما ليس بذنب، ويرون اتباع الكتاب دون السنة التي تخالف ظاهر الكتاب. وإن كانت متواترة. ويكفرون من خالفهم، ويستحلون منه لارتداده عندهم ما لا يستحلونه من الكافر الأصلي، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم: "يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان"، ولهذا كفروا عثمان وعلياً وشيعتهما؛ وكفروا أهل صفين - الطائفتين ÷ في نحو ذلك من المقالات الخبيثة) المجموع .(3/355)

(و(الخوارج) لا يتمسكون من السنة إلا بما فسر مجملها دون ما خالف ظاهر القرآن عندهم، فلا يرجمون الزاني، ولا يرون للسرقة نصاباً، وحينئذ فقد يقولون: ليس في القرآن قتل المرتد، فقد يكون المرتد عندهم نوعين) المجموع (13/48-49).

(وكلا الطائفتين "أي: الرافضة والخوارج" تطعن بل تكفر ولاة المسلمين وجمهور الخوارج يكفرون عثمان علياً ومن تولاهما، والرافضة يلعنون أبا بكر وعمر وعثمان ومن تولاهما، ولكن الفساد الظاهر كان في الخوارج: من سفك الدماء، وأخذ الأموال، والخروج بالسيف؛ فلهذا جاءت الأحاديث الصحيحة بقتالهم، والأحاديث في ذمهم والأمر بقتالهم كثيرة جداً، وهي متواترة عند أهل الحديث مثل أحاديث الرؤية، وعذاب القبر وفتنته، وأحاديث الشفاعة والحوض) المجموع (35/13).

(الفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع: أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب ودارهم هي دار الإيمان) المجموع .(19/73)

الخــوارج ومفاســد بــدعتــهم

سَمَّى السلف أهل السنة والجماعة الخوارج بهذا الاسم، لأنهم خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كما قال الأشعري في مقالات الإسلاميين، أما ابن حزم فيرى أن اسم الخارجي يلحق كل من خرج على إمام وقته وهو بذلك يتفق مع الشهرستاني في تعريف الخوارج. فهي طائفة أبت إلاّ تمزيق صفّ المسلمين وتشتيت شمل الموحّدين، فخرجت على الخليفة الذي تمّت بيعته من أهل الحلّ والعقد وتمّت له الإمامة على المسلمين.

قال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: "كلّ من خرج على الإمام الحقّ الذي اتّفقت الجماعة عليه يُسَمّى خارجيّاً سواء كان الخروج في أيّام الصحابة على الأئمة الراشدين أو (من) كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كلّ زمان." (ج1/ص114).

وزاد عليه ابن حزمٍ رحمه الله في كتابه الفصل في الملل والنحل: "ويلحق بهم مَن شايعهم على أفكارهم أو شاركهم في آرائهم في أيّ زمان".

ولا شك أن بدع هذه الفرقة الضالة من شر البدع وذلك لأمور كثيرة منها:

أ- أن ظاهر تمسكهم بالدين يوهم عموم الناس، ومن لا فقه له بأنهم أحق الناس بالدين، والإسلام، وهم في الحقيقة على غير ذلك. ولذلك فهم يشتبهون على كثير من الناس. كما سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا. فقيل: فمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، وهؤلاء يذكرون الله بكرة وأصيلاً. قيل:من هم؟ قال: قوم أصابتهم فتنة فعموا وصموا. (جامع الأصول لابن الأثير 10/79-87)

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: هم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين (صحيح البخاري 29512.

ب- أن حربهم وبأسهم لا يكون إلا على المسلمين، وما عرف خارجي في القديم، ولا سائر على منهجهم في الحديث إلا وكل همه نصب العداوة لأهل الإسلام وترك أهل الكفر والأوثان!!

ج- إنها أول البدع ظهوراً، وأبقاها على مدى العصور، كما قال صلى الله عليه وسلم: "كلما خرجوا قطعوا حتى يخرج آخرهم مع الدجال" (أخرج ابن ماجة (174) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ينشأ نشئٌ يقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقيهم كلما خرج فرق قطع حتى يخرج في أعراضهم الدجال] السلسلة الصحيحة(2455)).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "أول البدع ظهوراً في الإسلام، وأظهرها ذماً في السنة والآثار: بدعة الحرورية المارقة، فإن أولهم قال للنبي صلى الله عليه وسلم في وجهه: اعدل يا محمد! فإنك لم تعدل، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلهم، وقتالهم، وقاتلهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم مستفيضة بوصفهم، وذمهم، والأمر بقتالهم".

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: "صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة" (متفق عليه).

والحرورية لهم خاصتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم أولاهما: خروجهم عن السنة، وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة أو ما ليس بحسنة حسنة، وهذا هو الذي أظهروه في وجه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال له ذو الخويصرة التميمي: اعدل فإنك لم تعدل، حتى قال له النبي صلى الله عليه وسلم: [ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أعدل] (مسلم)1063(عن جابر). فقوله: فإنك لم تعدل جعل منه لفعل النبي صلى الله عليه وسلم سفهاً وترك عدل، وقوله: اعدل، أمر له بما اعتقده هو حسنة من القسمة التي لا تصلح، وهذا الوصف تشترك فيه البدع المخالفة للسنة، فقائلها لا بد أن يثبت ما نفته السنة، وينفي ما أثبتته السنة، ويحسن ما قبحته السنة، أو يقبح ما حسنت السنة، وإلا لم يكن بدعة، وهذا القدر قد يقع من بعض أهل العلم خطأً في بعض المسائل، لكن أهل البدع يخالفون السنة الظاهرة المعلومة. والخوارج جوزوا على الرسول نفسه أن يجور ويضل في سنته، ولم يوجبوا طاعته ومتابعته، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف -بزعمهم- ظاهر القرآن.

وغالب أهل البدع غير الخوارج يتابعونهم في الحقيقة على هذا، فإنهم يرون أن الرسول صلى الله عليه وسلم لو قال بخلاف مقالتهم لما اتبعوه، كما يحكي عن عمرو بن عبيد في حديث الصادق والمصدوق، وإنما يدفعون عن نفوسهم الحجة، إما برد النقل وإما بتأويل المنقول. فيطعنون تارة في الإسناد وتارة في المتن. وإلا فهم ليسوا متبعين ولا مؤتمين بحقيقة السنة التي جاء بها الرسول، بل ولا بحقيقة القرآن.

والأمر الثاني في الخوارج وأهل البدع: أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات. ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين، وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب ودارهم دار الإيمان. وكذلك يقول جمهور الرافضة، وجمهور المعتزلة، والجهمية، وطائفة من غلاة المنتسبة إلى أهل الحديث والفقه ومتكلميهم.

فهذا أصل البدع التي ثبت بنص سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماعِ السلف أنها بدعة، وهو جعل العفو سيئة وجعل السيئة كفراً. (الفتاوى 19/71-73)

14 إياك ومنهج الخوارج.

وسبب ضلال الخوارج ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله أنهم جعلوا ما ليس بسيئة سيئة، وما ليس بحسنة حسنة، وكذلك أنهم حكموا على المسلمين بالكفر بما رأوه ذنباً وعاملوهم معاملة الكفار، فاستحلوا بذلك دماءهم وأعراضهم وأموالهم..

ومما يشابه منهم الخوارج من وجه هؤلاء الذين يتهمون إخوانهم في الدين والعقيدة، ويخرجونهم من أهل السنة والجماعة وبذلك يستحلون أعراضهم، وحربهم، وتحذير الناس منهم، وقد يتقربون إلى الحكام بدمائهم.. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"فينبغي للمسلم أن يحذر من هذين الأصلين الخبيثين وما يتولد عنهما من بغض المسلمين وذمهم ولعنهم واستحلال دمائهم وأموالهم".

وهذان الأصلان هما خلاف السنة والجماعة، فمن خالف السنة فيما أتت به أو شرعته فهو مبتدع خارج عن السنة. ومن كفر المسلمين بما رآه ذنباً سواء كان ديناً أو لم يكن ديناً وعاملهم معاملة الكفار فهو مفارق للجماعة وعامة البدع والأهواء إنما تنشأ من هذين الأصلين" (الفتاوى 19/75)

وقد لا يصل بعض المتشددين أن يكون خارجياً فيقف دون التكفير لإخوانه ولكنه يشتط في معاداة إخوانه المسلمين، وظلمهم، وبغضهم فيفرط في حقوق الموالاة لهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

"وأما التكفير باعتقاد بدعي فقد بينته في غير هذا الموضع، ودون التكفير قد يقع من البعض والذم والعقوبة -وهو العدوان- أو من ترك المحبة والدعاء والإحسان وهو التفريط ببعض هذه التأويلات بما لا يسوغ، وجماع ذلك ظلم في حق الله تعالى أو في حق المخلوق، كما بينته في غير هذا الموضع. ولهذا قال أحمد بن حنبل لبعض أصحابه: أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس" (الفتاوى 19/75).

أسباب التطرف الديني في المجتمعات الإسلامية

إن الأسباب التي تحمل الإنسان على الوقوع في التطرف والعنف والإرهاب عديدة ومتنوعة، أبرزها:

أولا: الأسباب الدينية

1. الفساد العقدي:

لقد تركنا رسول عليه الصلاة والسلام على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، لكن أقواما أبوا إلا أن يسلكوا سبل الأمم السابقة فتفرقوا في دينهم، وظهرت فرق شتى أولاها الخوارج، وفي العصر الحديث امتلأت الساحة بالفرق والمذاهب والآراء، فكان انتشار تلك الفرق المنحرفة مؤثرا في إحداث الغلو والتطرف والإرهاب.

2. تغييب العلاقة بين الراعي والرعية:

إن قيام أمور الناس الدينية والدنيوية معتمد بعد الله على وجود الآمر الناهي المنظم لشؤون الأمة وأمورها، ومن كمال هذا الدين أنه ضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم بأسلوب شرعي بديع تمثل في توجيه كل من الطرفين: الحاكم والمحكوم إلى القيام بالمهام المنوطة به والواجبات الموكلة إليه بأسلوب ملؤه القوة والحكمة، فإذا نظرت إلى النصوص الواردة في شأن الحاكم وحقوق الرعية عليه والواجبات المنوطة به، ظننت أن الشرع مائل إلى جانب الرعية، وإذا نظرت إلى النصوص الواردة في شأن الرعية وحقوق ولي الأمر عليهم من الطاعة والنصرة ونحوها، ظننت أن الشرع مائل إلى جانب الحاكم، والمَوْقِفُ كما هو واضح يتشكل من مجمل النظر إلى النصوص الواردة في ذلك... وعلى الإمام إقامة الدين والحكم بشريعة سيد المرسلين، وإصلاح أمر المسلمين والرفق بهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى الرعية السمع والطاعة، وعليهما التناصح والشورى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته). صحيح

3. ضعف روح التعلق بالمجتمع الإسلامي أو بالأمة الإسلامية:

وهذه الروح ضرورية للفرد للاندماج في الحياة الاجتماعية.

فقد اعتنى الإسلام بتعلق الفرد بأمته اهتماما بالغا حتى شبه المجتمع المسلم بالجسم الواحد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة)، وقال: (من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه). فقالوا يا رسول الله، أرأيت إن كان علينا أمراء يمنعون حقنا ويسألون حقهم؟ فقال: (اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم: إلا إذا أمَروا بمعصية). وقال صلى الله عليه وسلم: " السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة). فتح الباري (240/11).

ثانيا: الأسباب الفكرية

تعود الأسباب الفكرية للإرهاب والعنف والتطرف في أغلبها إلى:

1. ظهور التيارات المنحرفة:

أ- تيار العَلمانية:

عانت دول العالم الإسلامي بعد الاستعمار من مذاهب فكرية معادية للمرجعية الدينية للشعوب الإسلامية، التي كانت تطمح بعد دحرها للمستعمر أن تحكمها الشريعة الإسلامية بدل القوانين الوضعية، ويعتبر تيار العلمانية الخبيث القاسم المشترك بين تلك المذاهب.

جاء هذا التيار تتمة للاستعمار الأوربي العَلماني الذي جثم على بلاد المسلمين لعقود كثيرة، ويستمد قوته من الضغوطات الأجنبية التي تمارسها الدول الاستعمارية على حكومات الدول الإسلامية متسترا وراء دعاوى النضال من أجل إقرار الديمقراطية وحقوق الإنسان بينما غرضه الأساس طمس معالم الهوية الإسلامية وإماتة عقيدة الولاء والبراء الضامنة لاستمرار مقومات الشخصية المسلمة وعدم الذوبان في النموذج الغربي.

ويدعو هذا التيار إلى بناء الحياة على أساس مادي دنيوي غير مرتبط بالأصول الشرعية ولا بالتقاليد والعادات والموروثات الاجتماعية الأصيلة، فهي من وجهة نظره، عوائق في طريق التقدم والانطلاق نحو الحضارة.

كما لا يدَّخر جهدا في محاربة التأثير القوي للتعاليم الدينية وعلى وجه التحديد تلك التي تحول دون تغلغل المبادئ العلمانية في الحياة الاجتماعية لدى المواطنين كالحجاب والعفة والحصانة، ويعتبرها حواجز تقف دون تحقيق الليبرالية التي تكفل التقدم الاقتصادي والاجتماعي للدولة الحديثة - بزعمه -.

ب- تيار الهجرة والتكفير:

تيار ديني متطرف يطبع أسسه الغلو والتشدد، وينحى منحى الخوارج الأول في فهم نصوص الكتاب والسنة ولا يرى حرجا في التكفير بالمعصية وقتال المسلمين.

يعارض المدنية الحديثة وكلَّ ما يتصل بالتقدم الحضاري، فهي من وجهة نظره ليست إلا فسادا في الأخلاق، وتفككا في الأسر وجمودا في العلاقات الاجتماعية، ويرى أن الحضارة تجعل الفرد يعيش لنفسه ملبيا لرغباتها متنكرا للآداب والفضيلة، مُخْلِطا بين ما توصل إليه العلم الحديث من اختراعات تيَسِّر معيشة الإنسان، وبين الاعتقادات المنحرفة والمبادئ المادية التي تعادي الدِّين وتقصيه من دواليب الحكم، كمبادئ الحداثة والليبرالية والعلمانية.

ظهر هذا التيار في العقود الأخيرة كرد فعل للهجمات الشرسة للتيار العلماني وهيمنته على المؤسسات الحيوية في المجتمع، مما دفعه إلى تكفير الحكام والمحكومين واستحلال دماء الجميع.

2. الفراغ الفكري والفهم الخاطئ للدين

إن الفهم الخاطئ للدين ومبادئه وأحكامه، والإحباط الذي يلقاه الشباب نتيجة افتقارهم إلى المثل العليا التي يؤمنون بها في سلوك المجتمع أو سياسة الحكم، يعطي الفرصة للجماعات المتطرفة لشغل هذا الفراغ بالأفكار التي يروجون لها ويعتنقونها.

كما أن الفراغ الديني الناتج عن تهميش العلماء والحد من فعاليتهم في تأطير وتنظيم المجتمع، أو تضييق الخناق عليهم والحد من استقلاليتهم يفسح المجال أمام ترويج الأفكار اليسارية العلمانية المتطرفة، التي تعتبر في الحقيقة سببا مباشرا من أسباب التطرف الديني نظرا لكونها تمثل فكرا دخيلا يستفز مقاومة أي مرجعية دينية.

كما يشكل تهميش العلماء وتغييبهم مدعاة لتصدر أشخاص غير أكفاء يُضلون الناس بالفتاوى الباطلة، الأمر الذي ينعكس على المجتمع بالهلاك خاصة حين ينخدع الشباب بهؤلاء الأدعياء.

ثالثا: الأسباب الاقتصادية

يعد الاقتصاد بتقلباته وما يلحقها من تغيرات مؤثرة في المجتمعات الفقيرة من الأسباب الخطيرة المحركة لموجات الإرهاب في العالم، وتبشر العولمة التي تجتاح العالم بمزيد من الأزمات الاقتصادية للدول والمجتمعات الفقيرة، ويتوقع أغلب المفكرين والمحللين الاجتماعيين زيادة المكانة والأهمية والنفوذ لرجال المال والتجارة، مقابل انحسار نفوذ ودور أهل السياسة.

هذا بالإضافة إلى الآثار السلبية التي تخلفها الشركات متعددة الجنسيات بأنشطتها المتنوعة والتي تروم تغيير سلوكيات المجتمع لتتماشى مع مبادئ العولمة التي لا تعترف بأية خصوصيات سواء كانت دينية أو عرفية.

رابعا: الأسباب السياسية

تلعب المواقف السياسية للدول والهيئات الدولية دورا من الأهمية بمكان في شيوع الإرهاب الدولي، ونخص بالذكر بعض هذه المواقف التي أفرزت ما تسميه الدول المتضررة إرهابا:

1. انحياز الأمم المتحدة بمنظماتها وهيئاتها إلى إسرائيل وتواطؤ المنتظم الدولي ضد مصالح المسلمين كما وقع في الصومال والبوسنة والهرسك وكاشمير والفلبين و..

2. الاحتلال الغاشم الأمريكي لأفغانستان والعراق وما ترتب عنه من إهانات لكرامة الشعوب الإسلامية.

3. احتلال روسيا للشيشان المسلم.

4. التناقض الفاضح بين ما تحض عليه مواثيق النظام السياسي الدولي من مبادئ وما تدعو إليه من قيم إنسانية ومثاليات سياسية، وبين الممارسة الفعلية لأقوى الدول التي تتشدق بحماية تطبيقها والتي انحطت بها إلى مستوى التنكر العام لكل تلك القيم والمثاليات، هذا التناقض مدعاة لظهور بعض الممارسات المتطرفة كصرخة احتجاج مدوية على ما يحمله هذا التناقض الصارخ بين القول والفعل من معان.

5. افتقار النظام السياسي الدولي إلى الحزم في الرد على المخالفات والانتهاكات التي تتعرض لها مواثيقه بعقوبات دولية شاملة ورادعة ضد هذا المظهر الأخير من مظاهر العبث.

إن التسيب الدولي هو الذي يفتح المجال واسعا أمام أخطبوط الإرهاب الدولي الذي يجمع في صفوفه بين القتلة ومحترفي التدمير وغيرهم من المغرر بهم دينيا أو سياسيا أو عقائديا، وتشجيعه على الاعتداء على سيادة الدول والإساءة إلى حقوقها ومصالحها المشروعة بوسائل يدينها الشرع قبل أن تدينها الأخلاقيات والأعراف الدولية، كالتهديد والتشهير والابتزاز والقتل واختطاف الطائرات وتعذيب الرهائن من المدنيين العزل الأبرياء.

خامسا: الأسباب التربوية

على الرغم من أن العوامل التربوية ليست من الأسباب المباشرة للإرهاب، إلا أن النقص والسلبيات في الأنظمة والمناهج الدراسية يؤدي إلى ظهور مشكلة التطرف في بعض المجتمعات المسلمة.

ويمكن حصر الأسباب التربوية فيما يأتي:

1. نقص الثقافة الدينية في المناهج التعليمية من التعليم الأساسي وحتى الجامعة في معظم البلاد الإسلامية.

فما يدرس في مراحل التعليم الأساسي، لا يؤهل شخصا مثقفا بثقافة مناسبة من الناحية الإسلامية، ليعرف ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وهو الحد الأدنى للثقافة الإسلامية، وقد أدى ضعف المقررات الدينية، وعدم تلبيتها لحاجات الطلاب في توعيتهم في أمور دينهم وتنوير فكرهم بما يواجههم من تحديات في ظل نظام العولمة، إلى نقص الوعي الديني بوجه عام، الأمر الذي انعكس سلبا على فكر وسلوك واتجاهات الأفراد.

2. إهمال تدريس الفقه الصحيح لأحكام الجهاد بدعوى أنه يؤسس لثقافة العنف والكراهية حسب وجهة نظر العلمانيين، ومحو كل المواد والمقررات التي لها علاقة بالغزوات والحروب التي خاضها المسلمون ضد الكفار واليهود والنصارى، مما يجعل الشباب يجهل العلم الصحيح والتأويل الشرعي للنصوص التي تحث على جهاد الكفار وأعداء الله ورسوله، وبالمقابل يصير أبناؤنا فريسة سهلة أمام التطرف الديني والتطرف العلماني على حد سواء.

سادسا: وسائل الإعلام

تلعب وسائل الإعلام دورا بارزا به في تغذية ودعم العنف والإرهاب والتطرف، فهي بما تقدمه من برامج وأفلام وأخبار وأساليب للإخبار عن الأحداث أو تركيبها وعن الأشخاص، وسيط مشارك لدى عديد من الدول العدوة، ومن وسائل الإعلام القنوات الفضائية التي ينتهج أغلبها منهج التطرف، كالاستهزاء بالدين وأصحابه والاستهتار بالأخلاق، وزرع الفتن وإثارتها من خلال البرامج التي تقدمها.

وتعد شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) من الوسائط القوية الأثر في خدمة عمليات العنف والإرهاب الدولية، فهذه الشبكات تنشر الأفكار والمعلومات والتصريحات والأحكام بين الأطراف المشتركين فيها على امتداد العالم كله، وهي مفتوحة على مصراعيها للانضمام المطرد إليها يوما بعد يوم، وهي تضم علاوة على ذلك كل شيء بدءا من الكتب التراثية وانتهاء بالأفلام المحظورة.

وفي غياب تأطير جدي للعلماء يلجأ أبناؤنا إلى غرف "البالتوك" لإشباع حاجتهم إلى العلم، ومن ثم يصبحون عرضة لمختلف أنواع التأطير المنحرف والمعتمد على التفسير الخاطئ لنصوص الوحيين.

إضافة إلى ما تبثه الصحف اليومية من أخبار موجهة سياسيا وصور خليعة وتقريرات كاذبة، تحت اسم حرية الصحافة وحرية التعبير، كل ذلك يساعد على ظهور السلوكيات التي تخرج عن زمام المعقول والمنطق أو ردة الفعل المتطرفة أو المبالغ فيها.

من ضوابط التكفير عند علماء المالكية

خطورة التكفير:

قال القرطبي المالكي - رحمه الله - :"وباب التكفير باب خطير، أقدم عليه كثير من الناس فسقطوا، وتوقف فيه الفحول فسلموا، ولا نعدل بالسلامة شيئا"اهـ (المفهم 1113.

التكفير حكم شرعي:

قال القرافي المالكي - رحمه الله - :" كون أمر ما كفرا - أي أمر كان - ليس من الأمور العقلية، بل هو من الأمور الشرعية، فإذا قال الشارع في أمر ما: هو كفر فهو كفر، سواء كان ذلك إنشاء أم إخبارا" اهـ. (تهذيب الفروق158/4).

النهي عن تكفير المسلم:

قال ابن عبد البرّ المالكي - رحمه الله - شارحا قول النبي صلى الله عليه وسلم:"إذا سمى الرجل الآخر كافرا، فقد كفر أحدهما" ما نصه:" والمعنى فيه عند أهل الفقه والأثر- أهل السنة والجماعة-: النهي عن أن يكفر المسلم أخاه المسلم بذنب أو تأويل لا يخرجه من الإسلام عند الجميع، فورد النهي عن تكفير المسلم في هذا الحديث وغيره بلفظ الخبر دون لفظ النهي، وهذا موجود في القرآن والسنة، ومعروف في لسان العرب.." اهـ (التمهيد17/14-22).

الحكم بالظاهر في إثبات الإسلام أو ضده:

قال الشاطبي المالكي - رحمه الله - :"أصل الحكم بالظاهر مقطوع به في الأحكام خصوصا، وبالنسبة إلى الإعتقاد في الغير عموما أيضا..." اهـ (الموافقات 771/2).

لا يكفر إلا من اتفق أهل السنة على تكفيره، أو قام على تكفيره دليل لا معارض له:

قال ابن عبد البرّ المالكي - رحمه الله - :" فالواجب في النظر ألا يكفر إلا من اتفق الجميع على تكفيره، أو قام على تكفيره دليل لا مدفع له.... كتاب أو سنة" اهـ)التمهيد21/17).

الفرق بين النوع والمعين في باب التكفير خاصة:

قال القاسمي - رحمه الله - حاكيا عن شيخ الإسلام الفرق بين النوع والمعين في باب الكفر والتكفير:"المقصود أن مذاهب الأئمة مبنية على هذا التفصيل بالفرق بين النوع والعين، بل لا يختلف القول عن الإمام أحمد وسائر أئمة الإسلام كمالك وأبي حنيفة والشافعي أنهم لا يكفرون المرجئة الذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل، ونصوصهم صريحة في الامتناع عن تكفير الخوارج والقدرية وغيرهم" اهـ" نقلا عن (محاسن التأويل1313/5).

لا تكفير بما يلزم من المذاهب والأقوال، ولا اعتبار بما تؤول إليه من أفكار:

قال الشاطبي المالكي - رحمه الله - :"مذهب المحققين من أهل الأصول أن الكفر بالمآل ليس بكفر في الحال، كيف والكافر ينكر ذلك المآل أشد الإنكار ويرمي مخالفه به، وإذا تبين وجه لزوم الكفر من مقالته لم يقل بها على حال" اهـ. "الإعتصام197/2".

العذر بالجهل:

قال ابن العربي المعافري المالكي - رحمه الله:"... فالجاهل والمخطئ من هذه الأمة ولو عمل من الكفر والشرك ما يكون صاحبه مشركا أو كافرا، فإنه يعذر بالجهل والخطأ، حتى يتبيَّن له الحجة التي يكفر تاركها بيانا واضحا ما يلتبس عن مثله، وينكر ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام، مما أجمعوا عليه إجماعا قطعيا يعرفه كل المسلمين من غير نظر أو تأمل....ولم يخالف في ذلك إلا أهل البدع" اهـ. (نقلا عن محاسن التأويل" 1307/5).

القول في آية الحكم:

قال ابن جزي المالكي - رحمه الله - :"وقال جماعة: هي عامة (أي الآية) في كل من لم يحكم بما أنزل الله من اليهود والمسلمين وغيرهم، إلا أن الكفر في حق المسلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الإيمان (ما لم يستحلوا ذلك قلبيا) " اهـ. (تفسير ابن جزي155).

باب الكفر والتكفير كغيره من الأبواب الشرعية مبناه على العلم:

قال ابن القاسم المالكي - رحمه الله - :"سمعت مالكا يقول: إن أقواما (يعني الخوارج) ابتغوا العبادة وأضاعوا العلم ، فخرجوا على أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأسيافهم، ولو اتبعوا العلم لحجزهم عن ذلكا اهـ. (مفتاح دار السعادة119/1).

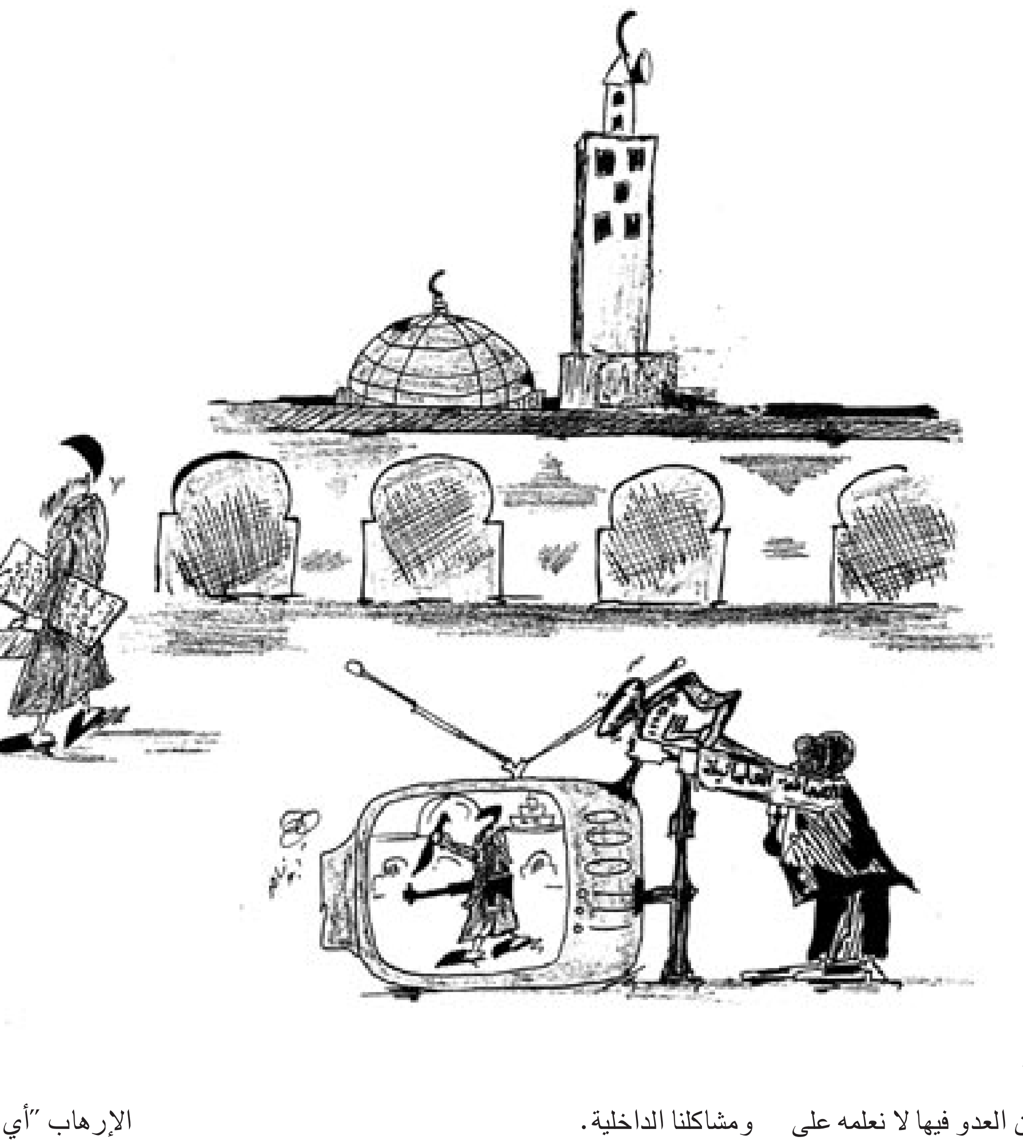
الحرب على الإرهاب بين إكراهات الأمريكيين والاستغلال البشع من طرف العلمانيين

بقلم: إبراهيم الطالب

لم تعد خافية على أحد – سواء كان باحثا متخصصا أو إنسانا عاديا يتتبع أخبار الكون وما يجري فيه من مستجدات –، تلك الهيمنة الاقتصادية والسياسية التي تمارسها أمريكا على المنظمات والهيئات الدولية، حتى غدا المرء لا يشك في كون هذه المؤسسات والهيئات إنما أوجدها الغرب ووضع قوانينها لتخدم مصالح بلدانه، وليكرس بها استعماره التقليدي مع تغيير بسيط في الشكل فقط.

ولعل ما تعيشه الدول الإسلامية هذه الأيام يعتبر من أسوأ الأحوال التي مرت عليها، منذ جمع شملها الإسلام ونظم عقدها الإيمان، فلم تكن أمة الإسلام قط أكثر تمزقا ولا أكثر ذلا منها اليوم، حتى أنها أصبحت لا تستطيع أن تقول لا، ولو في المواقف التي يكون فيها قول "لا" واجبا من أجل الحفاظ على كينونتها واستمرارها.

ولعل أصعب الامتحانات التي تُظهر مدى الضَعْف وعدم الاستقلالية التي تعاني منها الأمة، هو امتحان مواجهة الإرهاب الذي لم تعرفه الدول الإسلامية إلا بعد أحداث 11 شتنبر 2001، التي اتضح للعالم أنه كان لابد منها من أجل خوض اليمين المتطرف الأمريكي المدعوم من طرف الجماعات الضاغطة الصهيو–مسيحية، حربا على كل ما يحول دون بسط الولايات المتحدة لنفوذها وهيمنتها على الدول الإسلامية، وفرض النموذج الأمريكي على شعوبها.



دعوة إلى الرؤية وإعادة النظر

رغم يقيننا بأن الانخراط في "الحرب على الإرهاب" بالمفهوم الأمريكي لهذه الكلمة، كان إكراها فرضته الغطرسة الأمريكية على الدول الإسلامية، إلا أنه كان علينا أن نقف مَلِيّا ونفكر قبل أن نُقرِّرَ الانخراط في هذه الحرب، نظرا لكون العدو فيها لا نعلمه على وجه التحديد، كما أنه ليست لدينا أهداف مسطرة من قبل واستراتيجيات مرسومة مسبقا، بينما الولايات المتحدة التي فرضت علينا الدخول في هذه الحرب تعلم عَدُوَّها جَيِّدا حتى قبل الحادي عشر من شتنبر 2001، ولديها استراتيجيات محددة مسبقا وأهداف واضحة حرَّكت من أجلها جحافلها وآلاتها الحربية لتستوطن بلدانا إسلامية كانت إلى غاية الأمس القريب تتمتع بكامل السيادة على أراضيها (أفغانستان والعراق)، وتُلوِّح بتأديب بلدان أخرى تنتظر اليوم الذي يأتي دورها في الحرب على الإرهاب (سوريا وإيران والسعودية لاحقا).

لقد أصبح من الواجب على الدول الإسلامية أن تتعامل مع كل الإملاءات أو النصائح أو الاستشارات أو المعلومات التي تقدمها لها الولايات المتحدة الأمريكية في إطار التبادل الاستخباراتي الذي فرضته الحرب على الإرهاب بحذر شديد، وذلك لأنه اتضح بعد مرور الأيام والسنوات أن الأعداء في هذه الحرب إنما هم أبناؤنا، سواء أحببنا أن نعترف بذلك أم كرهنا، وسواء تم القبض على زعيم المتطرفين الخوارج أسامة بن لادن وأعوانه أم لا.

لذا نرى أنه أضحى محتما على الدول الإسلامية أن تعيد النظر في انخراطها في الحرب على الإرهاب، على الأقل حتى يتم تعريفه، لأن مشاركتنا في حرب لا نعرف فيها عدونا بالتحديد، ربما تجعلنا في غير مأمن من أن نحارب ونعاقب من ليس إرهابيا، كما أنها لن تخدم مصالحنا، بل ستزيد من نكباتنا ومشاكلنا الداخلية.

فأي إرهاب تطلب منا أمريكا أن نحاربه معها:

أهو المقاومة الإسلامية في فلسطين؟

أم المقاومة في العراق؟

أم في أفغانستان؟

أم في الشيشان؟

أم في سوريا وإيران والسعودية مستقبلا؟

أم فلذات أكبادنا وأبناء شعبنا ممن تبنى الرجوع إلى دينه سبيلا والالتزام بشرع الله منهجا؟

مادامت تعتبر كل من ذكرنا إرهابيا.

فكيف بالله عليكم يمكن أن تتعافى أمة تقدم أبناءها فداء لعدوّها وهي تعلم مَغَبَّةَ ما تقوم به؟

وكيف يمكن لأمة تحارب أولادها أن تتقدم وتتطور ويسود ربوعها الأمن والرخاء؟

إلا أننا ورغم فداحة المصاب وعِظَم الإكراهات والضغوط، لا نرى أن نخوض حربا غير واضحة المعالم بجانب مَنْ نعلم عداءه وكيده واستغلاله، حربا يكون العدو فيها مجموعة من أبنائنا، أو دولا مسلمة شقيقة لنا، فنكون بذلك كمن يضرب بَعْضُ جِسْمِهِ بَعْضَهُ الآخر.

الأحداث الإرهابية والاستغلال البشع من طرف العلمانيين

إن أولئك الذين انحرفوا من أبنائنا عن جادة الصواب، وتَنَكَّرُوا لهدي النبي صلى الله عليه وسلم واتخذوا سبيل التطرف والغلو طريقا للإصلاح، وإن كنا نقول بالتصدي لهم، والضرب على أيديهم، ومحاربتهم ولو بالسلاح بل نعتبره واجبا دينيا، إلا أننا نرى أن يسبقه قيام علمائنا حفظهم الله تعالى بتوضيح الشرع لهم ودعوتهم بالتي هي أحسن إلى التمسك بالتفسير الصحيح للنصوص، ما دام مستندهم فيما قاموا به من أعمال إجرامية هو فهمهم الفاسد لنصوص الشرع.

فهم على كل حال أبناؤنا وإخواننا، مغاربة مسلمون ضلوا السبيل، وأعمتهم الغيرة غير المنضبطة بالشرع على الوطن والدين، والمشمولة بالجهل بالواقع وبالتأويل الباطل للنصوص الشرعية فسلكوا طريق التدمير وسبيل التخريب.

فالواجب علينا أن نُبيِّن لهم ما خفي عنهم، وأن نُفَنِّدَ ما اغتروا به من شبهات حتى يتجلى لهم الحق، وتستبين لهم طريقه، هذا مع ضبطهم والحيلولة دون إقامتهم لأي نشاط أو دعوة من شأنها أن تغرِّرَ بضحايا جدد من أبنائنا، مع معاقبة من ثبت ضلوعه في أي عمل تخريبي أو أصر على فكره المنحرف بعد البيان والاستتابة.

إلا أنه لا يجب على العقلاء والمسؤولين أن يلتفتوا إلى نعيق العلمانيين الذين رأوا في حرب أمريكا على الإرهاب "أي على الإسلام" فرصة لا تُعَوَّضُ لخدمة مشروع علمنة المغرب، فانخرطوا دون قيد أو شرط في سلك جنودها، يضربون كل ما يمُتُّ إلى الدين بصلة ويَسِمُونَ بالإرهاب كل من يدعو إلى الله ورسوله حتى أنهم لا يفرقون بين إمام مسجد سُنِّي يدعو إلى الله ويبلغ آياته، وبين حامل لفكر الخروج على الإمام وناشر لدعوة التفجير والتدمير.

فَعَتَّمُوا – بتعصبهم لعلمانيتهم – على الناس سبيل الحق، ولبَّسُوا عليهم طريق الهدى، وصَوَّرُوا للناس أن الدولة المغربية أصبحت تتبنى العلمانية دينا، وأنها ستقوم بمَحْوِ معالم الدين من الوجود، في الوقت الذي نحن فيه أحوج ما نكون إلى التعقل والتروي والوحدة والتضامن حتى لا نعطي للدول الغربية التي تروم إضعافنا وإذلالنا واستبقاء تبعيتنا لها في المأكل والمشرب والملبس، فرصة التدخل في شؤوننا الداخلية.

←

العدد 04 . 28 رمضان 1426 الموافق لـ 01 نونبر 2005

ومن سخافة عقول هؤلاء العلمانيين أنهم يَرَوْن في إنكار خطباء المساجد للمنكر كيفما كان نوعه مهيجا للإرهاب ومصدرا له، فيقومون بالوشايات الكاذبة ضدهم، ويعمدون إلى التشهير بهم على صفحات جرائدهم التي مَلَؤُوهَا بالمنكرات من الأقوال والماجن من الصور، وشحنوها بالانحرافات العقدية حتى وصلت بهم الدناءة والوقاحة إلى نشر كتاب ينتقص من قدر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصفهم بالمتعطشين للدماء، وأنهم كغيرهم من المستعمرين إنما كان جهادهم من أجل الإماء والغنائم فقط، ناقلين عن أحد أكبر الحاقدين على الإسلام وأهله المدعو "سيد القمني" كما يتهمون الإسلام بعدم المساواة بين الأديان مطالبين بفسح المجال أمام المنصرين حتى يردّوا المسلمين عن دينهم إن استطاعوا.

ويرون في تزايد المحجبات وأصحاب اللحى خطرا على المغرب ويرمون بكل ثقلهم إلى محاصرة التعليم الديني مستغلين الوزارات التي تحت أيديهم وما تخوِّلُه لهم من سلطات مالية وإدارية فقلصوا حصص التربية الإسلامية في بعض مناهج التعليم كخطوة أولى نحو حذفها بالكلية.

كما يحرصون في صحفهم دوما على إظهار الشخصية الإسلامية شخصية مدمرة ومخربة متخلفة تدعو إلى الكراهية والعنف والقتل والتفجير.

تطرف الفكر العلماني وخدمته للمصالح الأمريكية سبب من الأسباب المباشرة للإرهاب

إن فكر العلمانيين وتصريحاتهم وما يَبُثُّونه من أباطيل في أذهان الناشئة ومواقفهم المتطرفة من الدين وأهله لا يقل خطورة وجُرْما عمَّا قام به المتطرفون من حَمَلَة فكر الخوارج، بل يرى كثيرٌ من الباحثين غير المتعصبين أن غُلُوَّ العلمانيين وتَجَرُّءَهُمْ على الله سبحانه، ورسوله صلى الله عليه وسلم يعتبر من الأسباب المباشرة في نشوء ظاهرة التطرف في البلدان الإسلامية.

إن المتأمل المتتبع لتصريحات "بوش" و"رامسفيلد" و"بلير" وقساوسة اليمين المتطرف في أمريكا إذا ما قام بمقارنتها مع تصريحات وتعليقات ومواقف العلمانيين، يخرج بخلاصة مفادها أن بعضهم يُوحِي إلى بعض زخرف القول عَدَاءً للدِّين الإسلامي وأهله، ويقطع جازما أن العلمانيين إنما هم في الحقيقة طابورا خامسا للجيش الأمريكي خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار حضانة أمريكا لهم وتمويلها لمشاريعهم متسترة بدعم الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان، ولو توارى العلمانيون واختبؤوا خلف شعارات من قبيل "ماتقيش بلادي" "لا للعنف لا للكراهية" مُلَبِّسِينَ على الناس بإنشاء جمعية لمناهضة الحقد والكراهية ، متظاهرين بالتباكي على البلاد، وماهم في الحقيقة إلا أَخِسَّاءَ متاجرون بدماء إخواننا الذين سقطوا إثر العمليات الإجرامية بالدار البيضاء، مستغلين دموع وأحزان ذويهم وأقربائهم، في تمزيق صف المغاربة من أجل تصفية حسابات سياسية ضيقة، ومحاربة منهم لأي مقاربة دينية لمعضلة التطرف، لأنهم يتصوَّرُونَ بعقولهم المريضة أنّه لو نجحت تلك المقاربة فستكون في صالح الحركات الإسلامية، ضاربين عرض الحائط مصلحة البلاد ووحدة المغاربة.

من هذه المنطلقات، نرى أن الحرب على الإرهاب بجانب أمريكا والعلمانيين لن تقضي على التطرف في بلادنا، لذا ندعو إلى حرب مغربية إسلامية شاملة على فكر الخوارج وفكر العلمانيين معا، فكلا الفِكْرَيْن مُفْسِدٌ للدين والنفس، ولا يرى للمؤسسة الملكية مكانا ولا مسوغا، فهؤلاء تحت شعار "التكفير" وأولئك تحت شعار "الملك يسود ولا يحكم".

كما نرى ضرورة عدم الاقتصار على المقاربة الأمنية في التعامل مع ظاهرة التطرف، ولزوم إرفاقها بالحل الإسلامي بإشراك علمائنا في التصدي للظاهرة عملا بهدي صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في محاربة الخوارج الأُوَلِ، الذين يستمد المتطرفون من أبنائنا أصولهم من فكرهم، خصوصا في الحكم على النظام والشعب والمجتمع ككل.

وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم.

مقترحات ووصايا لحل معضلة التطرف

وصايا في علاج ظاهرة الغلو والتطرف:

الوصية الأولى: اعتبار نصيحة المخلصين لا المغرضين

إذا نشأ في المجتمع فكر منحرف، فإن أهل الوسطية والاعتدال من العلماء والدعاة والمصلحين ومن تبعهم، هم أشعر الناس بالمسؤولية، وأحرصهم على علاجه بالمنهج العلمي الرصين، الذي يستشعر الواقع ويستشرف المستقبل، بعيداً عن أساليب المعالجة السطحية، والتي تقتصر على إدانة الحدث، وشتم المنفذين، ثم كيل التهم يميناً وشمالاً!

لقد استعصت المشكلة لما تركت في أيدي العلمانيين وأهل الأهواء، ذلك أن علاج هذه الأحداث ليس فرصة للتعالم، وتصفية الحسابات والمزايدات السياسية، والتسلُّق على الأكتاف، دون جهد صادق وحقيقي للإصلاح، بل لا بد من منهج علمي يجمع حسن التصور مع سلامة القصد، حتى يساهم بشكل فاعل في علاج قضية تعتبر من أعقد القضايا، إضافة إلى أن علاجها يستلزم تضحية كبيرة من الطرفين.

الوصية الثانية: عدم الاقتصار على الحل الأمني فقط

لقد أثبتت التجربة أن معالجة ظاهرة الغلو والتطرف عن طريق الحل الأمني قاصرة عن الحد من هذه الظاهرة الشاذة، بل كانت سبباً لتبلور هذا الفكر داخل غيابات السجون، وبروز تيارات غلو أخرى جديدة ، فالوسيلة الأنفع في ذلك هي المجادلة والمناظرة بالتي هي أحسن.

لقد نهج خير الخلق بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هذا العلاج مع الخوارج، وذلك حين أذن علي رضي الله عنه وأرضاه لعبد الله بن عباس أن يناظر الخوارج فرجع منهم ألفان.

ولا شك أن أسلوب المناقشة لحل هذه المشكلة هو من أنفع الأساليب، ذلك أن نور الحق ساطع، وبرهانه قاطع، وهو يعلو ولا يُعلى عليه، وهو الذي يستأصل الداء من أصله، إذ الغلو والتطرف مظهر من مظاهر التشوه الفكري، ولا يمكن إزالة هذا التشوه بإزالة مظهره فقط.

الوصية الثالثة: إعادة الاعتبار للعلماء وإعطائهم المكانة اللائقة بهم

ذلك أن غياب العلماء عن الساحة والحيلولة بينهم وبين الشباب يفسح المجال واسع أمام علماء الظلام ليبثوا أفكارهم المنحرفة، علما أن تلقي هذه الأفكار أصبح سهل المنال في ظل الشبكة العنكبوتية، لذا فإن الوصية المبذولة هي إفساح المجال أمام العلماء عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والندوات والمؤتمرات وغير ذلك من الوسائل المادية التي تكفل لهم التواصل مع مجتمعهم حتى يتم إعطائهم المكانة اللائقة بهم، ليرتبط الشباب بهديهم ويتنور بعلمهم وتوجيهاتهم لتحقيق الحصانة الفكرية ضد الغلو وكذا تهذيب السلوك بغية الثبات أمام فتن الشبهات والشهوات.

الوصية الرابعة: الحذر من مروجي الفتنة ومستغلي الأحداث لتوسيع الهوة بين أبناء المغرب

الحذر من مكر العلمانيين واستغلالهم للأحداث لتمرير برامجهم ومخططاتهم الفاسدة في مجتمعات المسلمين، فأوقات الفتن والمراحل العصيبة التي يمر بها البلد وموقف الغرب المتربص بخيرات البلاد وعقول العباد، هي بالنسبة لبني علمان فرصة ذهبية يجب استغلالها -أفضل- استغلال، لذا يجب على المصلحين والغيورين أن يقفوا للادينيين بالمرصاد فيفضحوا مخططاتهم ويبينوا مكرهم بالشعب المغربي، إذ هم إخوان للغرب وأطروحاته العلمانية التي يستمدون منها كل ترهاتهم التي يسمونها زورا ببرامج الإصلاح.

الوصية الخامسة: الرحمة في النصح

لابد من النظر لمثل هذه الجماعات والأفراد على أنهم مرضى محتاجون إلى علاج، لا كأعداء ألداء، فإن الأنفس مجبولة على رفض وتنكب ما يسوقه الأعداء ولو كان حقاً، وإحساس هذه الجماعات بأن أهل العلم يعادونهم يدفعهم إلى إنكار قولهم وعدم الاكتراث بنصحهم، لذلك لابد من اعتماد اللين والرحمة بهم قصد بلوغ الخطاب إلى قلوبهم.

وللشباب طاقة هائلة لابد من صرفها فيما ينفع، وإلا صرفها الشباب فيما يضرهم، ويضر دينهم وبلدهم وكل من حولهم، وينبغي الاستفادة من رجال التربية والتعليم؛ فهم المسؤولون بالدرجة الأولى عن هذا الباب، وكذلك الاهتمام بتعليم الشباب وعدم التوقف عن الدراسة في المرحلة الثانوية، ويكفي فائدة أن الشاب يشتغل بالدراسة وتثقيف نفسه، ولا يتحطم شبابه ونفسيته على أبواب الجامعات والوظائف، وليس بيده صنعة، فيحقد على المجتمع ولايبالي فيما يجري فيه، ويتشفى بكل ما يضرب المجتمع ويؤيده، وأخشى ما أخشاه أن يستغل أهل الغلو أمثال هؤلاء الشباب فيكونون جنوداً لهم.

العدد 04 ، 28 رمضان 1426 الموافق لـ 01 نوفمبر 2005

وقد أوضح بعض العلماء المصلحين في هذا الباب طرق العلاج، وسأنقل هنا بعضها:

أولاً: الدعاء والتضرع إلى الله برفع البأس واستنزال النصر، قال تعالى: ((فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [الأنعام:43].

ثانياً: المبادرة إلى العبادة قبل الفتن وأثنائها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم...)، وقال صلى الله عليه وسلم: (العبادة في الهرج كهجرة إليّ)، وعند أحمد: (العبادة في الفتنة كالهجرة إليّ) (والمعنى أن كثيراً من الناس زمن الفتنة يتبعون أهواءهم كأهل الجاهلية؛ فمن استمسك بدينه وعبَدَ ربّه كان بمنزلة من هاجر من أهل الجاهلية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو المعنى أن الناس ينشغلون في الفتنة عن العبادة، فرغّب النبي صلى الله عليه وسلم في العبادة وقت انشغال الناس وإعراضهم عنها.)

ثالثاً: ترك الذنوب والإقلاع عن المعاصي:

ومن ذلك الربا الذي تساهل به كثير من الناس، حتى كأنهم استحلوه، فترى إعلانات القروض الربوية في الشوارع، وقد قال الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ - فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ)) [البقرة:278-279].

رابعاً: إعلان العفو الشامل عمن تاب وأقلع:

فقد عفا الله تعالى عن قطاع الطرق الذين تابوا قبل القدرة عليهم، وقياس هؤلاء على قطاع الطريق قياس جلي ظاهر، قال تعالى: ((إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ - إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) [المائدة:33-34].

قال الإمام الموفق ابن قدامة رحمه الله: »هذه الآية في قول ابن عباس رضي الله عنهما وكثير من العلماء، نزلت في قطاع الطريق من المسلمين، وبه يقول مالك والشافعي وأبو ثور وأصحاب الرأي، وحكي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: »نزلت هذه الآية في المرتدين»، و قول الله تعالى: ((إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ)) [المائدة:34]، والكفار تقبل توبتهم بعد القدرة، كما تقبل قبلها، ويسقط عنهم القتل والقطع في كل حال، والمحاربة قد تكون من المسلمين».

(قال رحمه الله: «فإن تابوا من قبل أن يقدر عليهم، سقطت عنهم حدود الله تعالى، وأخذوا بحقوق الآدميين من الأنفس والجراح والأموال، إلا أن يعفى لهم عنها، لا نعلم في هذا خلافاً بين أهل العلم، وبه قال مالك والشافعي وأصحاب الرأي وأبو ثور، والأصل في هذا قول الله تعالى: ((إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) [المائدة:34]، فعلى هذا يسقط عنهم تحتم القتل والصلب والقطع والنفي، ويبقى عليهم القصاص في النفس والجراح، وغرامة المال والدية لما لا قصاص فيه».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيناً فضل العفو: «الإنسان تزيّن له نفسه أن عفوه عن ظالمه يجرّيه عليه وليس كذلك؛ بل قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال: (ثلاث إن كنت لحالفاً عليهن: ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً)، فالذي ينبغي في هذا الباب أن يعفو الإنسان عن حقه، ويستوفي حقوق الله بحسب الإمكان».

خامساً: نشر العلم الشرعي؛ ومن ذلك:

1- [المحافظة على بقاء المناهج الدراسية القائمة على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة، واختيار المدرسين الأكفاء لشرحها للطلاب على الوجه الصحيح]، وهذه المناهج إن لم تدرس بشكل علني في المدارس والجامعات ستدرس في الأقبية وخلف الستر، كما حدث في كثير من الدول.

2- تشجيع الدورات الشرعية المكثفة.

3- تشجيع المحاضرات العامة والدروس العلمية.

4- إعادة الاعتبار للمساجد والمدارس القرآنية وإعطائها المكانة اللائقة بها.

5- بث روح البحث العلمي بإقامة مسابقات عامة في بحوث علمية.

سادساً: الرجوع إلى العلماء الراسخين:

ولأهمية هذا الأمر أفردنا له عنواناً مستقلاً وإن كنا ذكرناه فيما سبق، فقد أمر الله سبحانه وتعالى بسؤال أهل العلم والرجوع إليهم، فقال: ((فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)) [النحل:43]، بل عاب من تقدم عليهم ولم يأخذ عنهم، فقال جل جلاله: ((وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)) [النساء:83] قال البغوي رحمه الله في تفسير هذه الآية: ((وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ)) أي: ذوي الرأي من الصحابة، مثل: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ((لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)) أي: يستخرجونه، وهم العلماء، أي: علموا ما ينبغي أن يكتم وما ينبغي أن يفشى».

وقد قال صلى الله عليه وسلم: (العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولادرهماً إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)، وقال بعض أهل العلم: «فالعلماء يقومون مقام الأنبياء بتعليم العلم وتبليغه للناس، ويجب على الناس أن يتعلموا منهم ويقبلوا إرشاداتهم وتعليماتهم»، ومن مكائد الشيطان لهؤلاء الغالين أنه يزيد لهم اتباع الهوى وركوب رؤوسهم وسوء الفهم في الدين، ويزهدهم في الرجوع إلى أهل العلم؛ لئلا يبصرونهم ويرشدونهم إلى الصواب.

سابعاً: نشر الكتب التي تناقش هذه الأفكار بأسلوب دعوي: فلا بد من الحكمة والتأني والرفق، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وما كان الرفق في شيء إلا زانه) وأكثر ما نراه من تجهيل وتحقير من بعض الكتّاب لهؤلاء، بل قد يطلق البعض عبارات تكفير كقول بعضهم: هؤلاء ليسوا مسلمين!! [والمفروض الرفق بالمخطئ حتى يبين له الصواب]، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفق بأبي جهل وأبي لهب؛ فكيف بأناس مسلمين مخطئين هم أحوج إلى العلاج؟!.

قال الدكتور عبد الرحمن اللويحق: «إن كثيراً من الكتابات حول مشكلة الغلو تنبع من اتهام الغلاة بالعمالة أو بالخيانة، أو بأنهم خوارج، أو بأنهم كفار، ولذلك فإني أوصي بالحذر من الوقوع في نظير ما يُتهم به الغلاة من تكفيرهم للناس، فإن ألفاظ التكفير والخوارج ألفاظ شرعية يجب ألا تطلق جزافاً».

ثامناً: نشر الكتب التي تناقش هذا الفكر بأسلوب علمي مؤصل؛ لأن عند بعض هؤلاء شبهاً، وهم يستدلون بكلام بعض أهل العلم، فلابد من محاورتهم بقوة، وقد رأينا أن بعض أهل البدع من الروافض وغلاة الصوفية رجع عن فكره ببعض الكتب التي نشرت بينهم، فلماذا نترك هؤلاء لمن يتلقفهم بدون أيّ تطعيم ضد هذه الأفكار؟! ولكن لابد أن ينجز هذه البحوث مطلّع على جميع أفكارهم، يعلم عدم تحامله وحقده على الإسلام وأهله.

ثمة أسباب لها آثار خطيرة، وهي محاضن للمرض وبها ينمو ويترعرع وينتشر، فلابد من ذكرها مع ضرورة المسارعة في علاجها، وهي الأرض الخصبة لانتشار أفكار الغلو أو عكسه الإرجاء والإباحية، وهي الثالوث المعروف عالمياً (الفقر، والجهل، والمرض) وإذا رافق هذا الثالوث تشهير ونشر للأخطاء مع وجود الفوارق الاجتماعية الضخمة بين الفقير والغني والعالم والجاهل، فهذا يسارع في تفجير الوضع، ولا أريد أن أطيل الكلام عن البطالة وانتشار المخدرات وأثر ذلك على الشباب، فينبغي على المسئولين إدراك خطورة هذا الثالوث، وأن كثيراً من الشباب يعاني من أمراض نفسية جعلتهم يركنون إلى معاقرة الخمور والمخدرات، فزادهم مرضاً إلى مرضهم. أما بخصوص الجهل فالواجب محاربة الأمية الدينية باستغلال برامج محاربة أمية الكتابة والقراءة مع الحذر من تسرب العلمانيين إليها لتأطير المجتمع حتى يستسيغ الناس برامجهم ومخططاتهم.

وللشباب طاقة هائلة لابد من صرفها فيما ينفع، وإلا صرفها الشباب فيما يضرهم، ويضر دينهم وبلدهم وكل من حولهم، وينبغي الاستفادة من رجال التربية والتعليم؛ فهم المسؤولون بالدرجة الأولى عن هذا الباب، وكذلك الاهتمام بتعليم الشباب وعدم التوقف عن الدراسة في المرحلة الثانوية، ويكفي فائدة أن الشاب يشتغل بالدراسة وتثقيف نفسه، ولا يتحطم شبابه ونفسيته على أبواب الجامعات والوظائف، وليس بيده صنعة، فيحقد على المجتمع ولايبالي فيما يجري فيه، ويتشفى بكل ما يضرب المجتمع ويؤيده، وأخشى ما أخشاه أن يستغل أهل الغلو أمثال هؤلاء الشباب فيكونون جنوداً لهم.

وأحب أن ننبه في آخر هذه الورقة أن هناك أسباباً أخرى للغلو نحن معنيون بتقصيها وتقليصها، وهي أسبابٌ قد لا تؤدي إلى ارتكاب هذه الأعمال، ولكنها على أقل تقدير تحمل بعضَ الناس على التأييدِ والفرحِ بهذه الأعمال، فينبغي ألا نغفل عن معالجتها.

ومنها: البطالة المتزايدة، ونسبة الفقر المدقع المتزايد والانتشار المخيف للجرائم، مما يحمل بعض الناس على التسخط على الأوضاع، ويذكي في قلوبهم نارَ الحنقِ والحقدِ على المجتمع والنظام جميعاً.

فيجدون في هذه الأعمال التخريبية متنفَّساً للتشفي والشماتة؛ لأنهم يرون أن المجتمع قد خذلهم ولم ينصر قضيتهم، وأقل ما يشعر به هؤلاء أن هذا الأمر لا يعنيهم.

العدد 04 . 28 رمضان 1426 الموافق لـ 01 نونبر 2005

متى ينتبه المسؤولون لخطر الرسوم المتحركة على أطفالنا؟

بقلم: نبيل غزال



كثيرة هي الحملات التي يواجهها المجتمع المسلم ضد الغزو الإعلامي الكاسح في إطار نظام العولمة، ولعل من أخطر الهجمات تلك الهجمة الشرسة التي يشنها الغرب على فئة من المجتمع المسلم ، ألا وهي فئة الأطفال، تلك الفئة البريئة و الأكثر استعدادا لقبول أي تغيير ، استهدفت وشنت الحرب ضدها بضراوة، من خلال ما تنتجه الدول المصنعة خصوصا أمريكا وأوربا من برامج ورسوم متحركة وأفلام كرتونية.

من هذا المنطلق عملت تلك الدول على تصدير ثقافتهم من خلال تلك البرامج وتوجيهها إلى النشء، لعلمهم أن تغيير المجتمعات يبدأ من خلال تربية جيل بأكمله على نهج وثقافة، وقناعات تجعلهم يختارون النمط الذي تريده الجهة المُوَجِّهة والمنتجة لهذه المواد.

لذا يعمل المنتجون على إخراج الرسوم المتحركة في أبهى حلّة ، وشكل جذّاب ومثير، تمسك أبنائنا بمشاهدة الرسوم المتحركة تمسكا شديدا ولم يعد بوسع أحدهم أن يتخلى عن مشاهدتها بل بلغ الحال ببعضهم إن لم نقل بأكثرهم أن يمتنع عن الطعام والشراب أثناء بثها، فكان بهذا لدعاة التغريب ما أرادوا، بتحكمهم في صياغة أذواق وطريقة تفكير أطفال العالم عن طريق الرسوم وتربيتهم على مجموعة من القناعات تخدم مشروع العولمة.

لقد احتلت الرسوم المتحركة حيزا كبيرا من حياة أطفالنا، فشغلتهم عن مراجعة دروسهم وتهذيب سلوكهم، فضلا عن أن يجلسوا إلى أهليهم ليستقوا منهم معالم التربية الصحيحة.

قالت الكاتبة "سارّة الكثلان" مبينة خطر ما تخلفه الرسوم المتحركة من انعكاسات سلبية على الأطفال:"من العوامل التي تؤدي إلى انحراف الطفل هو ما يشاهده من خلال شاشة (التلفزيون) خاصة (أفلام) الرسوم المتحركة التي قد تُبَلِّد ذكاء الطفل، وتضعف عقيدته، وتميع خلقه، لأنه -الطفل- أشبه ما يكون بالمادة اللَّدِنَة فسرعان ما يتشكل بما يشاهده فيأخذ أحط العادات وأقبح الأخلاق .." وتضيف قائلة:" بل يسير في طريق الشقاوة بخطى سريعة.. فالرسوم المتحركة تلعب دوراً كبيراً في شد انتباه الطفل ويقظته الفكرية والعقلية، وتحتل المركز الأول في الأساليب الفكرية المؤثرة في عقله لما لها من متعة ولذة.. على الرغم من أن الرسوم المتحركة التي تعرضها الفضائيات لا تعتمد على حقائق ثابتة وإنما على خرافات وأساطير ومشاهد غرائزية لا يمكن الاعتماد عليها في تنشئة أطفالنا وهي في الأصل قادمة من دول بعيدة كل البعد عن ديننا...".

ويكفيك أن تَعلمَ أن الرسوم المتحركة ما هي إلا حكاية تنمّ عن واقع راسمها، كما أثبت ذلك علماء الاجتماع، وبناء على هذا فكل ما تراه من مشاهد في تلك الرسوم ما هي إلا حكاية عن واقع المجتمع الذي رسمت فيه تلك المشاهد والعقائد والأخلاق.

فبتأمل ودراسة هذه الرسوم وخاصة التي تبث عبر قنواتنا الوطنية (إتم و 2M) تتكون لدى المتتبع مجموعة من الآثار السلبية التي قد تخلفها هاته الرسوم على فلذات أكبادنا، وإليك بعضها على سبيل المثال لا الحصر.

1. زعزعة عقيدة الطفل المسلم في الله تعالى:

قد يستغرب البعض مثل هذا القول ويبدو له ولأول وهلة أمرا مبالغا فيه، لكن وللأسف الشديد هذا هو واقعنا المرّ.

وإليك هذا المشهد من رسوم تبثها القناة الأولى: رجل بحار وقائد سفينة ينخر بسفينته عباب البحر بغية الاستطلاع، لكن الأمواج العاتية حالت دون إتمام الرحلة فغرق كل من بالسفينة إلاّ قائدها الذي رمت به الأمواج إلى شاطئ جزيرة مجهولة، عليها مَلِكة حالت دون إتمام رحلته المتوخاة، فما كان منه إلا أن يستغيث "بإلهة الحكمة" كما في دين اليونان الوثني، فنزلت من السماء "إلهة الحكمة"- تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا- مستجيبة دعاءه مملية عليه ما يجب فعله...



أوليس في هذه القصة زعزعة صريحة لعقيدة الطفل المسلم؟ آإِلَهَة الحكمة التي تجيب المضطر إذا دعاه أم الله جل في علاه؟

قال تعالى:"أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ" النمل62

وإن سلمنا جدلا أنهم لم يقصدوا بتلك المرأة "إلهة الحكمة" المزعومة، بل رسولا من السماء، فرسل السماء لا تكون إلاّ ملائكة، وهل الملائكة إناثا؟ قال تعالى:" أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثاً وَهُمْ شَاهِدُونَ " الصافات150

إن الأمثلة التي تجسد رغبة الأيادي الخفية لزعزعة عقيدة المسلم النقيّة لا تكاد تحصى، ما يعد مخالفة لعقيدة المغاربة وقانونهم الجنائي واللبيب تكفيه الإشارة.

كما تشتمل الرسوم التي تبثها القناة الثانية ب2M على مجموعة من الأخطاء التي تحرف عقيدة أطفالنا وتنشر التنصير بينهم: كإظهار الرجل القوي الشجاع مرتديا الصليب على صدره أو ذراعه، وإبراز السحر والشعوذة كرمز للقوة والنفوذ، وإغراق الطفل المسلم في أحلام خيالية لا حقيقة لها، ومن هذه البرامج الرسوم المعنونة بـ"محظ" حيث تخيل حلقاتها إلى الأطفال أنهم يملكون بعض القوى الخفية، التي يمكنهم إبرازها وخرق العادة عن طريقها، كما هو الحال بالنسبة لشخصية " ملقُّب التي تنزل المطر، و "diablo" الذي يتحول من إنسي إلى جنّي، وغير ذلك من الدواهي والطامّات، قال تعالى:" إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" لقمان34

2. نشر التبرج والتفسخ وتنبيه الأطفال إلى الأمور المخلة بالحياء:

وهذا كثير كثير جدا حيث يكاد المتتبع لهذه الرسوم يجزم بعدم خلو شيء منها عن مظاهر العري والفحش والتهتك والعلاقات الغرامية، بل قد تنتهي الحلقة بقُبلة أو بشيء يستحيي المرء من ذكره.

وتبقى هذه المخالفات الشرعية المذكورة غيض من فيض، والله المستعان وعليه التكلان.

فإذا كانت الدولة قد أخذت على عاتقها مهمة إعداد جيل متكامل البناء يحمل مشعل المنافحة عن قضايا أمته في مختلف المجالات، فمن غير اللائق أن نُوَفر لهذا الجيل وسائل التمدرس والصحة .. ونُهْمِل الرقابة على ما يستهدف أطفالنا من مثل البرامج الإعلامية المذكورة والتي تؤثر في بناء شخصيته وتوجيه فكره ومعتقده، فتكون نتيجة ذلك جيل سالم البدن مشوه الفكر والعقيدة.

فمن الواجب على الساهرين على النشء من الآباء والأمهات والمعلمين والأساتذة وكذا المسؤولين على الإعلام أن ينبهوا إلى الأخطاء العقدية والثقافية والأخلاقية التي تلحق أبناءنا وبناتنا جراء ما يبث من رسوم متحركة ومسلسلات تلفزيونية وغير ذلك، ولا يغتروا بالمقولة التي يروج لها العلمانيون والتي مفادها بلا نفع يرتجى من وراء فرض رقابة على وسائل الإعلام والتعليم ما دمنا نعيش في عالم الثورة الإعلامية" محاولة منهم إلى فتح المجال أمام عولمة أفكار وطريقة عيش الدول العظمى بزعمهم، فنظرا لخطورة الأمر واستشعارا لعظم المسؤولية نتقدم ببعض الحلول والمقترحات آملين أن تلقى القبول وأن تأخذ بعين الاعتبار.

- **أولاً:** إنتاج رسوم متحركة هادفة ذات أبعاد أخلاقية وتربوية .. توفر لأبنائنا التسلية والترفيه وفق الضوابط الشرعية.

- **ثانياً:** وقاية الآباء لأبنائهم من تلك الرسوم الهدامة، والحرص على حضورهم حلقات تحفيظ القرآن، وملء أوقاتهم بالأعمال الصالحة التي تعود عليهم بالنفع وعلى أمتهم بالصلاح.

- **ثالثاً:** تقرير المبادئ و الأحكام الإسلامية العامة مثل الحجاب والأخلاق والعفة ...في كل مستويات التعليم الأساسي والإعدادي، حتى يكتسبوا المناعة ضد ما يبث من مواد هدامة عبر الفضائيات.

– رابعاً: تقرير العقيدة الصحيحة في مقررات التعليم قصد ترسيخها في نفوس أطفالنا، وقيام الأطر التعليمية بتنبيه التلاميذ إلى الأخطاء العقدية التي تبثها تلك الرسوم.

- **خامساً:** إنشاء مركز لمراقبة ما يتسرب إلى عقول أبنائنا من خلال وسائل الإعلام المختلفة انطلاقا من التلفزة والمذياع إلى الشبكة العنكبوتية.

العدد 04 • 28 رمضان 1426 الموافق لـ 01 نوفمبر 2005

منكـرات العيد

قال ابن النحاس : "قد تقوم كثرة رؤية المنكرات مقام ارتكابها، في سلبِ القلب نورَ التمييز والإنكار، لأن المنكرات إذا كثر على القلب وُرُودُهَا، وتَكَرَّرَ في العين شهودُها، ذهبت عظمتها من القلوب شيئا فشيئا، إلى أن يراها الإنسان، فلا يخطر بباله أنها منكرات، ولا يُمَيِّز بفكره أنها معاصي، لما أحدث تكرارُها من تأليف القلب لها".اهـ

فلا يُنْكِر منكرا، بل لا يهز به رأسا، ولا يُغير فيه شيئا، فقد أضحى المنكر عنده مألوفا معروفا مستقرا، فَسَدَت به سلامَةُ فطرته، فأصيب بغفلة شديدة، فيَهاب ما لا يُهاب، ويأمر بما يعاب.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لايمنعن رجلا هيبةُ الناس أن يقول بحق إذا علمه". رواه ابن ماجة وصححه الألباني.

في الحديث الحض على الإقدام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن لا يمنعه هيبة الناس، فإن ذلك من تخذيل الشيطان وتخويفه. فإن الضرر وإن قل والنفع وإن جل مقدران، إذ لا يزيدان فتيلا، ولا ينقصان نقيرا.

لكن أهل العلم الثاقبي النظر، الجارين على سنن السلف، اشترطوا في وجوب الإنكار شروطا: أن يكون الفعل منكرا، أو موجودا، أو ظاهرا، أو معلوما بغير اجتهاد، ثم معرفة درجات المنكر، وكيفية الإنكار، فإن كثيرا من المنكرات لا تحتاج منا سوى لسانا حلوا، ووجها طلقا، وجناحا مخفوضا عطوفا، ورحمة بالعباد، فإن المُنْكِرَ ثقيل على القلوب، وإن كان خفيفا، سمج في العيون وإن كان لطيفا، قد أعمل الفكر في كيفية الخلاص منه، والراحة من مشاهدته.

وبعد، فهذه بعض منكرات العيد مجردة عن الدليل لشهرته، فكن منها على حذر، يسلم دينك، ويجلو قلبك، ويرضى عنك ربك، أسأل الله لك ولي السداد والتوفيق، والله تعالى من وراء القصد.

1 ـ تَهَافُتُ الرجال والنساء على زيارة القبور يوم العيد، ويتكلفون لذلك ما لا يرضاه الشرع وينتهكون حرمات الله تعالى.

2 ـ الانشغال والاستغراق في شهواتهم التي يأتونها يوم العيد، بدل الحرص على التكبير لإظهار شعار العيد.

3 ـ التزين بحلق اللحية، ولا يتقرب إلى الله عز وجل بالمعصية.

4 ـ الإسراف والتبدير فيما لا طائل تحته، ولا مصلحة فيه يوم العيد.

5 ـ الاقتصار على صلاة العيد دون سائر الصلوات! تالله إنها لإحدى الكُبَر.

6 ـ تبرج النساء بدل الستر والتوبة والأوبة إلى الله تعالى.

7 ـ عدم التعاطف والتعاون مع الفقراء والمساكين خاصة الأطفال، وفي ذلك إيغار للصدور.

8 ـ السهر ليلة العيد إلى الفجر في الملاهي والمعاصي.

9 ـ إحياء ليلة العيد بالذكر والقيام، وليس في ذلك سنة تتبع، بل فيها حديث موضوع مكذوب.

بقلم: سعيد البحراوي

■ أحـكام العيـد

ـــ وَلَّى الحبيب وجاء العيد ـــ

أخي المسلم، أختي المسلمة، وَلَّى الحبيب ..وَلَّى رمضان. فيا لبت شعري من المقبول فنهنيه، ومن المحروم فنعزيه..لا جعل الله تعالى بيننا محروما ولا مغروما بل مقبولا معزوزا، فاحمد الله جل وعلا، واشكر نعمته وفضله. وافرح واهنأ بمقدم موسم الفرح والحبور، فإن الصوم قد كمل.

قال الدهلوي في حجة الله البالغة (23/2) : الحكمة في مشروعية العيدين أن كل قوم لهم يوم يتجملون فيه، ويخرجون من بيوتهم بزينتهم.

عن أنس قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم ولأهل المدينة يومان يلعبون فيهما في الجاهلية، فقال : "قدمت عيكم ولكم يومان تلعبون فيهما في الجاهلية، وقد أبدلكم الله بهما خيرا منهما : يوم النحر ويوم الفطر". رواه أبو داود وغيره بسند صحيح

قال أحمد البنا في الفتح الرباني (119/6) : أي : أن الفطر والنحر بتشريع الله تعالى، واختياره لخلقه.



تجب صلاة العيد على أعيان الناس إلا من عذر.

لقوله تعالى"فصل لربك وانحر" الكوثر

قال قتادة وعطاء وعكرمة المراد : صلاة العيد

قلت : والأمر فيه للوجوب، ولا صارف له.

انظر تفسير ابن جرير(8881/15) وأحكام القرآن (458/4ـ459) ونيل المرام (2/338)

ولقوله تعالى:"ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون" البقرة185

قال القرطبي في تفسيره (293/2): معناه الحض على التكبير في آخر رمضان في قول جمهور أهل التأويل.

قلت: والأمر بالتكبير في العيدين أمر بالصلاة المشتملة على التكبير الراتب والزائد بطريق الأولى والأحرى.

ولحديث أبي عمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار قالوا: غم علينا هلال شوال فأصبحنا صياما، فجاء ركب من آخر النهار، فشهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم رأوا الهلال بالأمس، فأمر الناس أن يفطروا من يومهم، وأن يخرجوا لعيدهم من الغد. رواه أبوداود وغيره بسند صحيح

قلت: الأمر للوجوب، فلو كان العيد يسقط بفوات وقته لما أمرهم بالخروج، أو لخيرهم، وله نظائر.

وأدلة الوجوب كثيرة لا يمكن ردها أو تأويلها، ويكفي أن صلاة العيد من أعظم شعائر الإسلام.

وذهب الإمام مالك وهو مشهور المذهب أنها سُنَّة على الأعيان لا ينبغي تركها.

قال ابن القاسم في المدونة(295/1) : وقال مالك فيمن فاتته صلاة العيدين مع الإمام إن شاء صلى وإن شاء لم يصل. قال : ورأيته يستحب له أن يصلي.

قلت:و في رواية عن مالك الوجوب.

قال صاحب الرسالة(46) : صلاة العيدين سنة واجبة.

أي: لا ينبغي تركها، وهذا اصطلاح لابن أبي زيد القيرواني.

وقت صلاة العيد حين التسبيح إلى الزوال.

لحديث عبد الله بن بسر صاحب النبي صلى الله عليه وسلم أنه خرج مع الناس يوم فطر أو أضحى فأنكر إبطاء الإمام وقال إن كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد فرغنا ساعتنا وذلك حين التسبيح. رواه أبو داود وعلقه البخاري بصيغة الجزم. انظر الإرواء (13/101)

قلت : المراد بالتسبيح : صلاة النافلة، أي حلها وهي بعد مضي وقت النهي. ويمتد وقتها إلى الزوال كباقي الصلوات، وهو قول المالكية والجمهور.

قال ابن الحاجب في الجامع (129) : ووقتها من حل النافلة إلى الزوال.

قال ابن بطال : أجمع الفقهاء على أن العيد لا تصلى قبل طلوع الشمس ولا عند طلوعها وإنما تجوز عند جواز النافلة. وهذا موافق للحديث. وتعقب.

والأفضل تأخير صلاة الفطر ليتسنى للناس إخراج الزكاة من غير حرج. وهو عمل المدينة.

قال ابن عبد البر في الكافي (78):" ويستحبون أن تكون الصلاة يوم النحر أعجل منها يوم الفطر".

ومن فاته العيد يصلي ركعتين.

قال عطاء : إذا فاته العيد صلى ركعتين.

وهو فعل أنس بن مالك.

وقال مالك في الموطأ (رقم 592) رواية أبي مصعب : والمتأخر عن صلاة العيد، يصلي ما فاته على صفته، كسائر الصلوات. وحكاه ابن المنذر عنه أيضا.

قلت : لأن القضاء يجب أن يكون على صفة الأداء.

مكان صلاة العيد المصلى ولا تصلى بالمسجد إلا من ضرورة.

لحديث أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى. رواه البخاري ومسلم

قال ابن الحاج المالكي في المدخل (283/2): والسنة الماضية في صلاة العيدين أن تكون في المصلى أو في الصحراء أو في مفازة واسعة.

قال مالك في المدونة (298/1): لا يصلى في العيدين في موضعين ولا يصلون في مسجدهم ولكن يخرجون كما خرج النبي صلى الله عليه وسلم.

قلت: فإن كان ثمة ضرورة، مثل: المطر، والرياح الشديدة، والخوف، فتصلى في مسجد جامع. انظر الكافي (78) والذخيرة (241/2)

وقال الوزير ابن هبيرة في الإفصاح (172/1): واتفقوا على أن السنة أن يصلي الإمام العيد في المصلى بظاهر البلد لا في المسجد، وإن أقام لضعفة الناس وذوي العجز منهم من يصلي بهم في المسجد جاز.

ليس للعيد أذان ولا إقامة.

عن ابن عباس وجابر قالا: لم يكن يؤذن يوم الفطر ولا يوم الأضحى. رواه البخاري ومسلم . ومثله عن جابر ابن سمرة عند مسلم.

ولا ينادي الصلاة جامعة، فإنه بدعة. قاله ابن ناجي وغيره ، وهو ظاهر.

قال مالك:وتلك السنة التي لا اختلاف فيها عندنا.

انظر بلغة السالك (338/1) والكافي (78) والموطأ(163) والبداية (157/1)

ويستحب الغسل قبل الخروج.

عن نافع أن ابن عمر كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو إلى المصلى. رواه مالك في الموطأ (163) بسند صحيح.

قال ابن رشد في البداية (157/1): أجمع العلماء على

←

العدد 04 . 28 رمضان 1426 الموافق لـ 01 نوفمبر 2005

عيد مبارك سعيد

استحسان الغسل لصلاة العيدين.

والتزين ولبس أحسن الثياب.

عن ابن عمر قال : أخذ عمر جبَّة من استبرق تباع في السوق، فأخذها، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :" يا رسول الله، ابتع هذه، تجمل بها للعيد والوفود.." رواه البخاري ومسلم.

قال السندي: منه علم أن التجمل يوم العيد كان عادة متقررة بينهم، ولم ينكرها النبي صلى الله عليه وسلم، فعلم بقائها.

قال مالك: سمعت أهل العلم يستحبون الطيب والزينة في كل عيد.

والأكل قبل الغدو إلى المصلى.

عن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات. رواه البخاري

وكان مالك يستحب ذلك، بل نقل ابن رشد الإجماع.

قال المهلب المالكي: الحكمة في الأكل قبل الصلاة أن لا يظن ظان لزوم الصوم حتى يصلي العيد، فكأنه أراد سد هذه الذريعة.

وعند البخاري معلقا: و يأكلهن وترا.

قال المهلب: فللإشارة إلى وحدانية الله تعالى، وكذلك كان صلى الله عليه وسلم يفعله في جميع أموره تبركا بذلك.

والتكبير من حين الخروج.

ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم: كان يخرج يوم الفطر، فيكبر حتى يأتي المصلى، وحتى يقضي الصلاة، فإذا قضى الصلاة قطع التكبير. مرسل صحيح وله شواهد. انظر الصحيحة (170)

قال مالك في المدونة (293/1): فيكبر في الطريق تكبيرا يسمع نفسه ومن يليه وفي المصلى إلى أن يخرج الإمام فإذا خرج الإمام قطع.

قلت: لم يثبت في حد وتوقيت التكبير سنة نبوية، ولذلك صار جميع العلماء إلى أقاويل الصحابة، ومعلوم أن فعلهم في ذلك هو توقيف، إذ لا مدخل للقياس في ذلك، ومالك لم يحد في ذلك حدا.

وأفضل التكبير ما وافق قول الله تعالى :" ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون".

قال ابن تيمية في المجموع (231/24): فإن الهداية اقتضت التكبير عليها فضم إليه قرينه وهو التهليل والنعمة اقتضت الشكر عليها فضم إليه أيضا التحميد.

ومنه تكبير ابن مسعود: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد. رواه ابن أبي شيبة (168/2) بسند صحيح

ولا يصلي قبل العيد ولا بعده، ومن اقتدى اهتدى.

عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفطر ركعتين، لم يصل قبلها ولا بعدها.رواه البخاري

قال ابن العربي المالكي : التنفل في المصلى لو فعل لنقل، ومن أجازه رأى أنه وقت مطلق للصلاة ومن تركه رأى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعله، ومن اقتدى اهتدى. الفتح (159/3) والذخيرة (246/2)

وصفة صلاة العيد : ركعتان، يكبر في الأول سبعا، وفي الثانية خمسا عند الابتداء، ثم هي على منوال باقي الصلوات.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكبر في الفطر والأضحى: في الأولى سبع تكبيرات، وفي الثانية خمسا، سوى تكبيرتي الركوع. رواه أبو داود وغيره بسند صحيح

قال مالك في المدونة (295/1): ولا يرفع يديه في شيء من تكبير العيدين إلا في الأولى.

قلت: أي: في تكبيرة الإحرام، وهذا هو السنة.

والخطبة بعد الصلاة، ويجوز التخلف عنها.

عن ابن عمر: أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر، كانوا يصلون العيدين قبل الخطبة. رواه البخاري ومسلم

ويستحب للإمام أن يخيِّر في حضورها تأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم، فعن ابن السائب قال : شهدت العيد مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما قضى الصلاة قال : إنا نخطب فمن أحب أن يجلس للخطبة فليجلس، ومن أحب أن يذهب فليذهب. رواه أبو داود بسند صحيح

وكره مالك انصراف الناس قبل سماع الخطبة، قال : لا ينصرف حتى ينصرف الإمام. ولعله لم يثبت عنده سنة في ذلك. والله أعلم . انظر الموطأ (167) وشرح الزرقاني (1/169) .

ويجوز التهنئة بعد العيد.

لحديث جبير بن نفير قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض : تقبل الله منا ومنك. حسَّنه الحافظ في الفتح (3/121).

الهدي النبوي في صدقة الفطر

اعلم ـ رحمك الله ـ أن الزكاة الشرعية المفروضة نوعان :

أولا : زكاة أموال: وهي إما عين أو حرث أو ماشية أو ثمار.

وقد نظمها بعضهم فقال :

أنواعها أربعة فأحصها
ومالها زيادة في نصها
مفروضة في المسلمين فاشية
في العين والحرث وبعض الماشية
ورابع منها هي الثمار
بكلها قد جاءت الآثار

ثانيا : زكاة أبدان: وهي صدقة الفطر. قيل: سميت بذلك لوجوبها بسبب الفطر.

وحكمتها : أنها طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، كما جاء عن ابن عباس يرفعه. رواه أبو داود (1609) بسند حسن.

وهو ظاهر في أن زكاة الفطر جابرة للصوم. قال وكيع بن الجراح: زكاة الفطر لشهر رمضان كسجدتي السهو للصلاة، تجبر نقصان الصوم كما يجبر السجود نقصان الصلاة.اهـ

و فيها الرفق بالفقراء بإغنائهم عن السؤال يوم الفطر.

انظر الفتح (214/3) والمغني (56/3) ومواهب الجليل (256/3) والمجموع (100/6) والعدة حاشية الإحكام (144/3)

وحكمها: الوجوب، فلا تبرأ ذمة المسلم إلا بأدائها.

ودليلها السنة لصراحتها، وهذا الذي عليه جمهور أهل العلم. وجماعة فقهاء الأمصار.

قاله ابن عبد البر في الكافي(113).

فعن ابن عمر قال : "فرض رسول الله صلى الله عيه وسلم زكاة الفطر .." رواه البخاري ومسلم

وهو قول الإمام مالك والأئمة، وهو مشهور المذهب، وحكى أبو طاهر المالكي قولا بأنها سنة وهو عن أشهب، وهو ظاهر الضعف، فقد حكى ابن المنذر الإجماع، قال: أجمعوا على أن صدقة الفطر فرض.انظر الذخيرة (529/2) و جامع الأمهات (167) و مواهب الجليل (3/ 255) والإجماع (13)

وقد حمل بعض أهل العلم قول الله تعالى "قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى" على زكاة الفطر.

قال عمر بن عبد العزيز وأبو العالية : "أدى زكاة الفطر ثم خرج إلى الصلاة"

ومثله قول الله تعالى"ويمنعون الماعون" أي المعروف كله. قال عكرمة : أعلاها الزكاة المفروضة، وأدناها عارية المتاع.

قال ابن كثير : وهذا الذي قاله عكرمة حسن، فإنه يشمل الأقوال كلها، وترجع كلها إلى شيء واحد وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة.

انظر أحكام القرآن (372/5)وابن كثير(718/446/4)وابن جرير(546/12)

وتجب مع الإسلام والاستطاعة.

فأما الأول: فلأن الزكاة قربة، والطهور لا يكون إلا للمسلمين والكافر ليس من أهل الطاعة.

فتجب على الصغير والكبير والذكر والأنثى والحر والعبد من المسلمين.

فعن ابن عمر قال:" فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين".

رواه البخاري ومسلم

وأما الثاني : فالمعسر ليس له ما يخرجه، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.قال النووي : المعسر لا فطرة عليه بلا خلاف.

وقال القرافي : ولا زكاة على معسر.

فإن قيل : **فما حد القدرة** ؟

قلت : ما فضل عن قوته وقوت عياله ذلك اليوم، وهو قول جمهور العلماء، ومشهور المذهب.

قال ابن الحاجب في الجامع (167): والمشهور وجوبها على من عنده قوت يومه معها.

وهذا يوافق ما ثبت في حد غنى اليوم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار" فقالوا: يا رسول الله، وما الغنى الذي لا تنبغي معه المسألة؟ قال: "أن يكون له شبع يوم وليلة". صحيح أبي داود(306/1)

فمن حلت له الزكاة وفضل عن قوت يومه في وقت الوجوب فهو في حكم القادر، فعليه إخراجها.

سئل ابن القاسم : أرأيت من تحل له زكاة الفطر أيؤديها في قول مالك؟ قال: نعم. المدونة(457/2) انظر الكافي (111)والذخيرة (534/2) والمجموع (6/113)

ويخرج الرجل زكاة الفطر عن كل مسلم تلزمه نفقته.

قال ابن عمر رضي الله عنهما:" أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد ممن تمونون " أخرجه الدارقطني (141/2) وغيره وهو حسن بمجموع الطرق.

فتجب الزكاة بثلاثة أمور هي أسباب للنفقات والجامع بينها تحمل الحق المالي:

السبب الأول : القرابة، وذلك في الأولاد والأبوين.

قال الإمام مالك : يؤدي الرجل عن أبويه إذا ألزم نفقتهما زكاة الفطر.المدونة (463/2).

العدد 04 • 28 رمضان 1426 الموافق لـ 01 نوفمبر 2005

العشرة الكاملة في نقض القيمة المالية

قال الخليل صاحب العين: القيمة: ثمن الشيء بالتقويم. أي الشيء الذي يُقاوم به المتاع ونحوه أي يقوم مقامه. وقيل عدل الشيء وهو أعم.

ذكر الفقهاء أن القيمة نوعان:

النوع الأول: إخراج النقدين (الذهب والفضة أو ما يقوم مقامهما، وعند المالكية يطلقون عليهما العين) عن جنس الواجب.

النوع الثاني: كل مال من غير جنس الواجب، كالنقد والثياب والأواني ونحوهما، وهو أعم.

وكلامنا عن حكم إخراج المال بدل صدقة الفطر، فالذي عليه غالب أهل العلم وهو مذهب مالك عدم الإجزاء، وهو الصواب ـ إن شاء الله تعالى ـ

وذلك من وجوه:

أولا: أن الشرع نص على المقتات، فلا يجوز العدول عنه إلا على الوجه الذي جاء به الأمر.

قال ابن عباس: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نؤدي زكاة رمضان صاعا من طعام. أخرجه ابن خزيمة بسند صحيح فلو كانت القيمة مجزئة لذكرها، ولو كانت الحاجة إليها قائمة لبينها.

ثانيا: عن أبي سعيد الخدري قال: كنا نخرج زكاة الفطر صاعا من طعام أو صاعا من شعير أو صاعا من تمر أو صاعا من أقط (اللبن المجفف) أو صاعا من زبيب. رواه البخاري ومسلم

وفيه دليلان:

أحدهما: تعيين جنس الواجب إخراجه يفيد وجوب ذلك، فاللازم الاقتصار عليه.

الثاني: اختلاف مسميات أنواع الزكاة، وتباين الأقوات دليل على عدم اعتبار القيمة، وإلا لكان يكفي النص على واحد دون غيره.

ثالثا: زكاة الفطر عبادة توقيفية من أتى بها على غير الجهة المأمور بها فهي فاسدة.

رابعا: لا يجوز الاجتهاد مع النص وإلا فهو إسقاط له، وهذا ظاهر إذا أخرجت القيمة، فالواجب الاقتصار على مورد النص.

خامسا: جرى عمل الصحابة على إخراج زكاة الفطر عينا، وهم أعلم الناس وأفقههم، وفيهم الصديق والفاروق، فعليهم نزل القرآن، وهم أحرص العباد على نفع المسلمين، فليسعنا ما وسعهم.

سادسا: وجود المقتضى وهو الفقر والحاجة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لم يرخص في القيمة المالية.

سابعا: من أهم مقاصد صدقة الفطر ظهورها بين المسلمين وفي ذلك إظهار للسنة وتحبيب وترغيب في مواساة الفقراء للصغير والكبير، بخلاف القيمة. ولا ندري ربما مع الزمان يخصم للموظف خاصة من راتبه الشهري قيمة الصدقة، وهذا أشد.

ثامنا: تعليق الشرع حق المساكين بنوع الصدقة فقال: "طعمة للمساكين" وهذا يفيد الحصر، وفيه تشريك الفقراء مع الأغنياء في أعيان الأموال.

تاسعا: تعليق طهارة المسلم بالقوت فقال: طهرة للصائم من اللغو والرفث" فلم تجز فيه القيمة المالية.

عاشرا: من مقاصد تنوع الزكاة المفروضة من حرث ومال وماشية وثمار وصدقة فطر حصول شكر النعمة بمواساة الفقير من جنس ما أنعم الله تعالى به.

وأخيرا، فهذه عشرة كاملة في نقض القيمة المالية، قال الإمام مالك: الا يجزئ أن يجعل الرجل مكان زكاة الفطر عرضا من العروض، قال: وليس كذلك أمر النبي عليه الصلاة والسلام".

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى قول وسط وهو جواز إخراج القيمة في حال المصلحة والحاجة وهو أظهر في زكاة الأموال دون زكاة الأبدان. والله أعلم



السبب الثاني: الزوجية.

وأما الجنين فلا زكاة عليه إجماعا، قال ابن المنذر في الإجماع (14): أجمعوا على أن لا زكاة على الجنين في بطن أمه.

السبب الثالث: الرق.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليس في العبد صدقة إلا صدقة الفطر". رواه مسلم

قال ابن أبي زيد في الرسالة(65): ويخرج عن العبد سيده. انظر المدونة (458/2) وما بعدها والذخيرة (2/529) ومواهب الجليل (265/3)

وأما نوع الواجب إخراجه في زكاة الفطر فمما يقتاته المسلمون.

عن أبي سعيد الخدري قال:" كنا نخرج في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر صاعا من طعاما، وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر. رواه البخاري

وعن ابن عباس قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نؤدي زكاة رمضان صاعا من طعام عن الصغير والكبير والحر والمملوك، من أدى سلتا (الشعير لا قشر له) قبل منه، وأحسبه قال: من أدى دقيقا قبل منه ومن أدى سويقا قبل منه. أخرجه ابن خزيمة (80/4) بسند صحيح

فكان هذا قوتهم، ولو كان هذا ليس قوتهم بل يقتاتون غيره، لم يكلفهم أن يخرجوا مما لا يقتاتون، فما ذكر كان على سبيل التمثيل لا التعيين والمقصود أن يكون مما يؤكل ويطعم، وأيضا صدقة الفطر من جنس الكفارات، وقال الله تعالى فيها"من أوسط ما تطعمون أهليكم". المائدة 89 ولم يعين.

ولأن المسكين إنما يطلب قوت يومه، فوجب أن يكون هو المعتبر.

وهو قول علمائنا المالكية وابن تيمية ومن المعاصرين الشيخ العثيمين ـ رحمه الله ـ

انظر المدونة (464/2) والذخيرة (544/2) وطبق الأرطاب(478) ومواهب الجليل (268/3) والفتاوى (25/69) والشرح الممتع (648/2)

والواجب إخراج صاع من أي صنف إلا البر فيجزئ نصف صاع.

لقول رسول الله صلى الله عيه وسلم :"أدُّوا صاعا من بر أو قمح بين اثنين". أخرجه أحمد وهو صحيح بشواهده.

وعن ابن الزبير أن أسماء بنت أبي بكر كانت تخرج على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أهلها ـ الحر منهم والمملوك ـ مدين من حنطة، أو صاعا من تمر بالمد، أو بالصاع الذي يقتاتون. أخرجه الطحاوي بسند صحيح

وعند البخاري ومسلم من حديث ابن عمر قال: فعدل الناس به نصف صاع من بر، على الصغير والكبير.

وهو قول غالب الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ومن علمائنا ابن حبيب.

وقال ابن المنذر في الإجماع(14): أجمعوا على أن البر يجزيء منه نصف صاع واحد، وهو متعقب.

انظر شرح القرطبية(265) لزروق والذخيرة (2/546) والفتح (437/3) وتمام المنة(386ـ 387

والمد مد النبي صلى الله عليه وسلم والصاع صاع أهل المدينة.

قال رسول الله صلى الله عيه وسلم :" الوزن وزن أهل مكة، والمكيال مكيان أهل المدينة". رواه أبو داود بسند صحيح

قال البغوي: الصاع الذي يعتبر في الكفارات، وصدقة الفطر، وتقدير النفقات، وما في معناها، صاع أهل المدينة.

وقيل لمالك: يؤدى بالمد الأكبر؟ قال: لا بمده عليه الصلاة والسلام.

وهو ملء اليدين المتوسطين، لا مقبوضتين ولا مبسوطتين، وقيل وزنه: 2,4غرام من البر مثلا.

انظر قصة الإمام مالك مع أبي يوسف عن الصاع النبوي في سنن الدارقطني(150/2 ـ 151).

الكافي (112) والذخيرة (546/2) ومواهب الجليل 1/438)ـ 439) لأحمد الشنقيطي والشرح الممتع (2/646) وطبق الأرطاب (480).

ويجب إخراج زكاة الفطر قبل صلاة العيد.

عن ابن عمر أن النبي صلى الله عيه وسلم أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة. رواه البخاري ومسلم

فمن أداها بعد الصلاة فهي صدقة.

لحديث ابن عباس:"..من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات " رواه أبو داود بسند حسن. الإرواء (434)

ويجوز إخراجها قبل الفطر بيوم أو يومين.

فعن نافع قال: كان ابن عمر يعطيها الذين يقبلونها، وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين. رواه البخاري ومسلم. انظر المدونة (447/2)

وقد حمل بعض أهل العلم فعل ابن عمر على وجود الساعي جامع الزكاة.

وهنا مسألة يذكرها أهل العلم وهي وقت وجوب إخراج زكاة الفطر، فذهبت طائفة إلى تحديده بغروب الشمس من ليلة الفطر، وهي رواية أشهب عن مالك و قول أحمد وغيره. وذهبت أخرى إلى تحديده بطلوع الفجر من يوم الفطر، وهي رواية ابن القاسم عن مالك و قول أبي حنيفة وغيره، وهو الموافق لحديث الترجمة.

فإن قيل: فما فائدة الخلاف؟

قلت: فائدته فيمن ولد أو أسلم أو مات ونحو ذلك في وقت الوجوب، هل تلزمه زكاة الفطر؟ وذلك لأن صدقة الفطر تجب بإدراك جزئ من شهر رمضان.

انظر البداية(1/ 206) والقرطبية(264) والكافي(111) والفتح(368/3) والمدونة(457/2) وجامع الأمهات(167)

وتصرف للمساكين فقط.

لحديث ابن عباس:".. طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين" سبق تخريجه.

وهو دليل على حَصْر زكاة الفطر في المساكين، والمناسبة ظاهرة، ولأنها من جنس الكفارات.

وهذا مذهب الإمام مالك، ومن المعاصرين الشيخ الألباني والشيخ العثيمين.

انظر المدونة (461/2) ومواهب الجليل(272/3ـ 273 والشرح الممتع(651/2) وتمام المنة(387).

والأولى إعطائها للمصلين.

قال ابن العربي المالكي: فأما المسلم العاصي فلا خلاف أن صدقة الفطر تصرف إليه إلا إذا كان يترك أركان الإسلام من الصلاة والصيام فلا تدفع إليه الصدقة حتى يتوب. وسائر أهل المعاصي تصرف الصدقة إلى مرتكبيها لدخولهم في اسم المسلمين. تفسير القرطي (3/319)

العدد 04 • 28 رمضان 1426 الموافق لـ 01 نوفمبر 2005

تقسيم فلسطين

في 29 نوفمبر 1947، قامت الجمعية العامة التّابعة لهيئة الأمم المتحدة بالموافقة على قرار تقسيم فلسطين لإنهاء النزاع العربي/اليهودي على أرض فلسطين الرازحة تحت الانتداب البريطاني، وقضت خطة التقسيم (181) إلى تأسيس دولة عربية وأخرى يهودية على تراب فلسطين، وأن تقع مدينة القدس تحت الوصاية الدولية.

إنشاء الخطة

- خارطة تقسيم فلسطين

قامت هيئة الأمم المتحدة بمحاولة لإيجاد حل للنزاع العربي/اليهودي القائم على فلسطين، وقامت هيئة الأمم بتشكيل لجنة UNSCOP المتألّفة من دول متعدّدة باستثناء الدّول دائمة العضوية لضمان الحياد في عملية إيجاد حلّ للنزاع.

قامت اللجنة بطرح مشروعين لحل النزاع.

تمثّل المشروع الأول بإقامة دولتين مستقلّتين، وتُدار مدينة القدس من قِبل إدارة دولية.

وتمثّل المشروع الثاني في تأسيس فيدرالية تضم كل من الدولة اليهودية والعربية. ومال معظم أفراد لجنة UNSCOP تجاه المشروع الأول والرامي لتأسيس دولتين مستقلّتين. وقامت هيئة الأمم بقبول مشروع لجنة UNSCOP الدّاعي للتقسيم مع إجراء بعض التعديلات على الحدود المشتركة بين الدولتين، العربية واليهودية، على أن يسري قرار التقسيم في نفس اليوم الذي تنسحب فيه قوات الانتداب البريطاني من فلسطين.

أعطى قرار التقسيم 55 من أرض فلسطين للدولة اليهودية، وشملت حصّة اليهود من أرض فلسطين على الشريط البحري وصحراء النّقب، ولم تكن صحراء النّقب في ذاك الوقت صالحة للزراعة ولا للتطوير المدني، واستند مشروع تقسيم الأرض الفلسطينية على أماكن تواجد التّكتّلات اليهودية بحيث تبقى تلك التكتّلات داخل حدود الدولة اليهودية.

- التصويت على القرار

كان من المفترض أن يتم التصويت على الخطة في 26 نوفمبر 1947، ولكن الوفد الأمريكي اقترح تأجيل التصويت إلى ما بعد عيد الشكر الذي كان في اليوم التالي، وبالرغم من المعارضة العربية وتنازل العرب عن الخطب توفيرا للوقت فقد أعلن تأجيل جلسة التصويت إلى ما بعد عيد الشكر.

في مساء 29 نوفمبر جرى التصويت فكان ثلاثة وثلاثون صوتا إلى جانب التقسيم، وثلاثة عشر صوتا ضدّه وامتنعت عشر دول عن التصويت، وكانت الدول ال33 التي وافقت على القرار هي: استراليا، بلجيكا، بوليفيا، بيلوروسيا، كندا، كوستاريكا، تشيكوسلوفاكيا، الدنمارك، الدومينيكان، الايكوادور، فرنسا، غواتيمالا هاييتي، ايسلندا، ليبيريا، لوكسمبورغ، هولندا، نيوزيلندا، نيكوراغوا، النرويج، بنما، الباراغوي، بيرو، فيليبين، بولندا، السويد، اوكرانيا، جنوب أفريقيا، الاتحاد السوفييتي، الولايات الأمريكية المتحدة، الأوروغواي وفنزويلا.

والدول ال13 ضد القرار هي أفغانستان، كوبا مصر اليونان، الهند، إيران، العراق، لبنان، باكستان والسعودية، سوريا، تركيا، اليمن.

أما الدول العشر التي امتنعت عن التصويت فهي: الأرجنتين، تشيلي، الصين، كولومبيا، سلفادور، اثيوبيا، هندوراس، المكسيك، المملكة المتحدة ويوغوسلافيا

وعندما أعلنت النتيجة انسحب المندوبون العرب من الاجتماع وأعلنوا في بيان جماعي رفضهم للخطة واستنكارهم لها.

- ردود الفعل

تنامت الضغوط السياسية على هيئة الأمم المتحدة لقبول خطة التقسيم، واستحسن معظم اليهود مشروع القرار وبخاصّة الوكالة اليهودية، إلا أن المتشددين اليهود من أمثال مناحيم بيغن رئيس منظمة الإرجون الصهيونية، وعضو عصابة الشتيرن، "إسحاق شامير" رفضوا هذا المشروع، وتشير سجلّات الأمم المتحدة إلى فرحة الفلسطينيين اليهود الذين حضروا جلسة الأمم المتحدة بقرار التقسيم. وإلى هذا اليوم، تشيد كتب التاريخ الإسرائيلية بأهمية الـ 29 من نوفمبر 1947.

رفضت الزعامات العربية خطة التقسيم ووصفتها بالمجحفة في حق الأكثرية العربية التي تمثّل 67 مقابل 33 من اليهود. فقد أعطى الاقتراح 55 من فلسطين لليهود الذين كانوا يملكون 7 فقط من التراب الفلسطيني. والسبب الثاني لرفض العرب خطة التقسيم كان الخوف من المستقبل، إذ خشي العرب أن تكون خطة التقسيم نقطة البداية لاستيلاء اليهود على المزيد من الأراضي العربية، ولم تأتي مخاوف العرب من فراغ، فقد أعلن بن غوريون في 1938 عن نيّته في إزالة التقسيم العربي/اليهودي والاستيلاء على كلّ فلسطين بعد أن تقوى شوكة اليهود بتأسيس وطن لهم. وصرّح "مناحيم بيغن" في 1948 عن بطلان شرعية التقسيم، وأن كل أرض فلسطين هي ملك لليهود وستبقى كذلك إلى الأبد.

بعد التصويت على التقسيم

تعاقبت الأحداث بعد توصية التقسيم 181، وتوسّعت إسرائيل على الأراضي التي استولت عليها في نزاعها مع جيرانها. وحتى العام 2005، تستولي إسرائيل على 50 من الأراضي العربية بمقتضى قرار التقسيم وتسيطر سيطرة تامّة على النصف الباقي.

جملة من القرارات الأمريكية

تبرز بكل جلاء التحيز الأمريكي الكبير للكيان الصهيوني

الفيتو الأميركي وحماية الكيان

- 10 سبتمبر 1972م: الولايات المتحدة تستخدم حق (الفيتو) ضد قرار تقدمت به كل من الصومال وغينيا ويوغسلافيا يطالب بوقف العمليات الحربية في الشرق الأوسط بعد شكوى سوريا ولبنان.

- 20 أبريل 1982م: استخدمت الولايات المتحدة حق (الفيتو) ضد مشروع قرار عربي بإدانة حادث الهجوم على المسجد الأقصى.

- 25 فبراير 1982م: استخدمت الولايات المتحدة (الفيتو) على مشروع قرار أردني يطالب السلطات المحلية (في فلسطين) لممارسة وظائفها وإلغاء كل الإجراءات المطبقة في الضفة الغربية.

- 13 سبتمبر 1985م: استخدمت الولايات المتحدة حق (الفيتو) ضد مشروع قرار الأمن بادانة الممارسات (الإسرائيلية) القمعية ضد الفلسطينيين في الأراضي المحتلة.

- 30 يناير 1986م: استخدمت الولايات المتحدة حق (الفيتو) ضد مشروع قانون لمجلس الأمن يدين الانتهاكات (الإسرائيلية) لحرمة المسجد الأقصى ويرفض مزاعم (إسرائيل) باعتبار القدس عاصمة لها.

- 7 نوفمبر 1989م: استخدمت الولايات المتحدة (الفيتو) للاعتراض على قرار مجلس الأمن يدين الممارسات (الإسرائيلية) في الأراضي المحتلة.

القرارات والتصريحات السياسية الأمريكية لدعم الكيان

- 6 مارس 1972م: اعترف مساعد وزير الدفاع الأمريكي أن هناك اعتبارات استراتيجية هي التي دعت إلى إختيار اليونان كقاعدة للأسطول السادس، وأنه بدون ذلك ستتعرض (إسرائيل) لخطر بالغ.

- يوليو 1972م: أقر المؤتمر القومي للحزب الديمقراطي البرنامج السياسي للحزب وقد تضمن البرنامج التعهد بإمداد (إسرائيل) بالطائرات والمعدات العسكرية الأخرى التي تحتاج إليها للمحافظة على قوتها الرادعة، وتعهد الحزب في برنامجه بالإعتراف بالقدس عاصمة (لإسرائيل).

- 4 يوليو 1972م: وجه الرئيس نيكسون رسالة إلى المنظمة الصهيونية الأمريكية قال فيها انه قد أشار بوضوح خلال محادثاته مع القادة السوفيت إلى التزام الشعب الأمريكي بضمان بقاء (إسرائيل).

- 7 فبراير 1973م: وافق 80 من أعضاء الكونجرس الأمريكي على مشروع قانون يقضي بحرمان الإتحاد السوفيتي من التمتع بحقوق الدولة الأكثر رعاية، إلاّ في حالة إلغاء الضرائب على هجرة اليهود السوفيت (لإسرائيل).

- 9 يوليو 1976م: أعلن هنري كيسنجر أن الولايات المتحدة تؤيد شرعية الغارة الإسرائيلية على مطار (عنتيبي) لإنقاذ الرهائن المحتجزين.

- يناير 1979م: أكد الرئيس الأمريكي خلال اجتماعه مع زعماء الطائفة اليهودية الأمريكية أن الولايات المتحدة لا تزال على رفضها إجراء أية اتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية.

- 21 فبراير 1983م: طالب الرئيس الامريكي ريغان الدول العربية بقبول (إسرائيل) كأمر واقع.

- 19 أكتوبر 1983م: هددت الولايات المتحدة بالانسحاب من الأمم المتحدة وقف مساهمتها المالية في المنظمة الدولية إذا رفضت الجمعية العامة قبول أوراق إعتماد المندوب (الإسرائيلي).

- 4 ديسمبر 1983م: أكد الرئيس الأمريكي ريغان أن العلاقات الأمريكية (الإسرائيلية) تزداد قوة وتعهد بوقوف أمريكا بجانب (إسرائيل) عند أي تهديد لأمنها.

- 28 أكتوبر 1984م: أبلغ الرئيس ريغان مؤتمراً لليهود الأمريكيين بأن (إسرائيل) حليف استراتيجي وصديق مقرب لأمريكا، وأدان الذين يساوون بين جمال الصهيونية وقبح العنصرية، وقال إنه بقيام (إسرائيل) تمكن اليهود من إعادة قيام حكمهم الذاتي في أرضهم التاريخية.

- 15 مايو 1985م: أكد وزير الخارجية الأمريكي استمرار معارضة واشنطن لإنشاء دولة فلسطينية مستقلة.

- 30 سبتمبر 1985م: أقر الرئيس الأمريكي ريغان الغارة الصهيونية على مقر منظمة التحرير الفلسطينية بتونس باعتبارها عملاً مشروعا للدفاع عن النفس ضد الإرهاب.

- 2 نوفمبر 1988م: صرّح أحد مساعدي الرئيس الأمريكي المنتخب جورج بوش بأن الأخير يرى أن التعاون الإستراتيجي بين الولايات المتحدة و(إسرائيل) هو مفتاح السلام في الشرق الأوسط وأنه (بوش) يرفض الاعتراف بالدولة الفلسطينية.

العدد 04 • 28 رمضان 1426 الموافق لـ 01 نوفمبر 2005

نشــأة العــولمــة (الحلقة الثانية)

اختلف الباحثون في التأريخ لنشأة العولمة على قولين:

الأول: يرى أن ظاهرة العولمة قديمة، عمرها خمسة قرون، أي ترجع إلى القرن الخامس عشر- زمن النهضة الأوربية الحديثة-،حيث التقدم العلمي في مجال الاتصال والتجارة، ويدل على ذلك: أن العناصر الأساسية في فكرة العولمة وهي: ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم، سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات، أو في انتقال رؤوس الأموال، أو في انتشار المعلومات والأفكار، أو في تأثر أمّة بقيم وعادات غيرها من الأمم يعرفها العالم من ذلك التاريخ .

الثاني: يرى أنّ العولمة ظاهرة جديدة، فما هي إلا امتداد للنظام الرأسمالي الغربي، بل هي المرحلة الأخيرة من تطور النظام الرأسمالي العلماني المادي النفعي، وقد برزت في المنتصف الثاني من القرن العشرين نتيجة أحداث سياسية واقتصادية معينة منها: انتهاء الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية عام 1961م ثم سقوط الاتحاد السوفيتي سياسياً واقتصادياً عام 1991م، وما أعقبه من انفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالتربع على عرش الصدارة في العالم المعاصر، وانفرادها بقيادته السياسية والاقتصادية والعسكرية ومنها: بروز القوة الاقتصادية الفاعلة من قبل المجموعات المالية والصناعية الحرة عبرة شركات ومؤسسات اقتصادية متعددة الجنسيات، مدعومة بصورة قوية وملحوظة من دولها.

يرى "توماس فيردمان" الصحافي اليهودي الأمريكي الذي يكتب في (نيويورك تايمز) : "إنّ العولمة الحالية هي مجرد جولة جديدة، بعد الجولة الأولى التي بدأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بحكم التوسع الهائل في الرحلات البحرية باستخدام طاقة البخار، والتي أدت إلى اتساع حجم التجارة الدولية بشكل لم يسبق له مثيل".

ويرجع صاحبا كتاب فخ العولمة البداية الحقيقية للعولمة إلى عام 1995م، حيث وجّه الرئيس السوفيتي السابق "بغورباتشوف" الدعوة إلى خمسمائة من قادة العالم في مجال السياسة والمال والاقتصاد في فندق بفيرمونت" المشهور في "سان فرانسيسكو" لكي يبنوا معالم الطريق إلى القرن الحادي والعشرين. وقد اشترك في هذا المؤتمر المغلق أقطاب العولمة في عالم الحاسوب والمال وكذلك كهنة الاقتصاد الكبار، وأساتذة الاقتصاد في جامعات "ستانفورد"، و"هارفرد" و"أكسفورد". واشترك فيها من السياسيين، الرئيس الأميركي "جورج بوش" الأب، ووزير خارجيته "شولتز"، ورئيسة الوزراء البريطانية "مارجريت تاتشر"، ورئيس وزراء مقاطعة "سكسونيا" وغيرهم.

- إنّ معظم الكتاب يجمعون على أن هناك أربعة عناصر أساسية يعتقدون أنها أدت إلى بروز تيار العولمة، وهي:

1- تحرير التجارة الدولية: ويقصدون به تكامل الاقتصاديات المتقدمة والنامية في سوق عالمية واحدة، مفتوحة لكافة القوى الاقتصادية في العالم وخاضعة لمبدأ التنافس الحر.

2- تدفق الاستثمارات الأجنبية المباشرة: حدثت تطورات هامة خلال السنوات الأخيرة تمثلت في ظهور أدوات ومنتجات مالية مستحدثة ومتعددة ، إضافة إلى أنظمة الحاسب الآلي ووسائل الاتصال والتي كفلت سرعة انتشار هذه المنتجات،وتحوّلت أنشطة البنوك التقليدية إلى بنوك شاملة، تعتمد إلى حد كبير على إيراداتها من العمولات المكتسبة من الصفقات الاستثمارية من خارج موازنتها العمومية ويرجع ذلك إلى سببين رئيسيين هما:

- تحرير أسواق النقد العالمية من القيود.
- الثورة العالمية في الاتصالات الناجمة عن الوسائل والأدوات التكنولوجية الجديدة.

3- **الثورة المعرفية:** وتتمثّل في التقدم العلمي والتكنولوجي، وهو ميزة بارزة للعصر الراهن، وهذا التقدم العلمي جعل العالم أكثر اندماجاً، كما سهّل حركة الأموال والسلع والخدمات، وإلى حد ما حركة الأفراد، ومن ثمّ برزت ظاهرة العولمة، والجدير بالذكر أنّ صناعة تقنية المعلومات تترّكز في عدد محدود ، ومن الدول المتقدمة أو الصناعية دون غيرها.

4- **تعاظم دور الشركات متعددة الجنسيات:** ينعت هذا العصر بأنّه عصر العولمة فمن الأصح وصفه بأنه عصر الشركات متعددة الجنسيات باعتبارها العامل الأهم لهذه العولمة.

ويرجع تأثير هذه الشركات كقوة كبرى مؤثرة وراء التحولات في النشاط الاقتصادي العالمي إلى الأسباب التالية:

أ- تحكّم هذه الشركات في نشاط اقتصادي في أكثر من قطر وإشاعتها ثقافة استهلاكية موحدة.

ب- قدرتها على استغلال الفوارق بين الدول في هبات الموارد.

ج- مرونتها الجغرافية.

أقول:وإن كانت هذه العولمة تستهدف هيمنة دولة واحدة - وهي الولايات المتحدة الأمريكية - على دول العالم أجمع فإن هذه الصورة من العولمة لم تكن لتظهر فجأة دون بدايات أو مقدمات مهدت لها بصورة فاعلة ومخطط لها من القوى الرأسمالية ذات النزعة الاستعمارية، ومن ذلك إنشاء منظمة الأمم المتحدة، وما تبعها من مؤسسات مالية دولية: البنك الدولي للإنشاء والتعمير، وصندوق النقد الدولي، ثمّ اتفاقية "الجات" (الاتفاقية العامة على الرسوم الجمركية والتجارة) التي تعود في تاريخها إلى سنة 1947م حيث اجتمعت ثلاث وعشرون دولة صناعية في "جنيف" للنظر في تحرير التجارة وفتح الأبواب بين هذه الدول ، وبدأ سريان هذه الاتفاقية منذ أول يناير 1948م، وبلغ عدد الدول الموقعة عليها سنة 1993م مائة وسبع عشرة دولة.

ثمّ معاهدة "ماستريخت" التي ضمت خمسة عشر بلداً صناعياً، وظهور المناطق التجارية الحرة، والاتحادات الجمركية، ثم الأحداث السياسية التي تتمثل بانتهاء الحرب الباردة، ثم قيام الرئيس السوفيتي الأسبق "ميخائيل غورباتشوف" وبدعم أمريكي ملحوظ عام 1985م بالإعلان عن إصلاح النظام الاقتصادي الشيوعي الذي سمي وقتها "البيروسترويكا" وقد كان هذا الإعلان بمثابة الإعلان عن سقوط الشيوعية وانهيار الاتحاد السوفيتي سياسياً واقتصادياً، وما تلاه من سقوط حائط "برلين" عام 1989م، واتحاد الألمانيتين، ثم حرب الخليج الثانية عام 1991وما أسفرت عنه من تثبيت القواعد الأمريكية العسكرية في منطقة الخليج العربي، كل هذه الأحداث ساهمت إلى حد بعيد في تربع الولايات المتحدة الأمريكية على عرش النفوذ العالمي، وبالتالي برز مصطلح "النظام العالمي الجديد" و"الأحادية القطبية والعولمة".

وظهر أوّل نظام تجاري دولي ملزم للأقطار المنضوية تحت لوائه في شهر نيسان سنة 1995م، حيث أعلن عن إنشاء المنظمة العالمية للتجارة (الجات) بمدينة مراكش المغربية، وهي امتداد لاتفاقية الجات، وهذه المنظمة تمثل أحد أركان النظام الاقتصادي العالمي الجديد، وتختص بأعمال إدارة ومراقبة وتصحيح أداء العلاقات التجارية، وستكون عامل مساعد للبنك الدولي وصندوق النقد الدولي لتنفيذ وإقرار النظام الاقتصادي العالمي الجديد. وأخيراً تم دعم صرح العولمة بالتوقيع- في شباط عام 1997م بمدينة جنيف بسويسرا- على أول اتفاق دولي يتعلق بتحرير المبادلات الخدماتية المتطورة،وخاصة فيما عرف "بالتكنولوجيا المعلوماتية" أو ثورة الاتصالات.

وممّا ساعد على سرعة انتشار ظاهرة العولمة انضمام كثير من دول شرق أوربا إلى الحلف الأطلسي، وانفتاح دول أخرى على الحلف نفسه،وانضمام كثير من الدول العربية إلى المنظمة العالمية للتجارة،- وبقية الدول تتفاوض للانضمام- ثم المؤتمرات الاقتصادية المتلاحقة التي تنظر لهذه العولمة كأمر حتمي لا مفر منه، وإظهار مزاياها الاقتصادية والتنموية ومن أشهرها "منتدى دافوس الاقتصادي" ثم المشروعات الاقتصادية الإسرائيلية التي تستهدف عولمة الشرق الأوسط لصالح المشروع الصهيوني الذي يتمثل في دولة إسرائيل الكبرى، التي تسعى لتحقيقه اقتصادياً وثقافياً عبر بوابات اتفاقيات السلام التي تعقدها منفردة مع الدول العربية، والاتفاقيات الاقتصادية الثنائية مع دول المنطقة وعبر بوابات التطبيع، التي تهيأ لها بكل قوة الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها في المنطقة العربية، وقد أضفى ذلك كله بعداً استراتيجياً جديداً على دعم الدور الأمريكي -ومن ورائه القوى الصهيونية المتحكمة في السياسة والقيادة الأمريكية- لقيادة النظام العالمي الجديد.

ومؤخراً، ساهمت ثلاثة عوامل في الاهتمام بمفهوم العولمة في الفكر والنظرية، وفي الخطاب السياسي الدولي:

1- **عولمة رأس المال** أي تزايد الترابط والاتصال بين الأسواق المختلفة حتى وصلت إلى حالة أقرب إلى السوق العالمي الكبير، خاصة مع نمو البورصات العالمية.

2- **التطور الهائل في تكنولوجيا الاتصال والانتقال** والذي قلّل- إلى حد كبير- من أثر المسافة، وانتشار أدوات جديدة للتواصل بين أعداد أكبر من النّاس كما في شبكة الإنترنت.

3 **عولمة الثقافة وتزايد الصلات غير الحكومية والتنسيق بين المصالح المختلفة للأفراد والجماعات**، فيما يسمى الشبكات الدولية " Networking" حيث برز التعاون استناداً للمصالح المشتركة بين الجماعات عبر القومية مما أفرز تحالفات بين القوى الاجتماعية على المستوى الدولي، خاصة في المجالات النافعة مثل: الحفاظ على البيئة، أو في المجالات غير القانونية كتنظيف الأموال والمافيا الدولية للسلاح.

- ممّا سبق يتضح أنّ العولمة تتكون من العناصر الرئيسية التالية:

1- **تعميم الرأسمالية:** إن تغلّب الرأسمالية على الشيوعية جعلها تعمم مبادئها على كل المجتمعات الأخرى، فأصبحت قيم السوق، والتجارة الحرة، والانفتاح الاقتصادي، والتبادل التجاري، وانتقال السلع ورؤوس الأموال، وتقنيات الإنتاج والأشخاص، والمعلومات، هي القيم الرائجة، وتقود ذلك أمريكا وتفرضها عن طريق المؤسسات العالمية التابعة للأمم المتحدة، وخاصة مؤسسة البنك الدولي ، ومؤسسة النقد الدولي، وعن طريق الاتفاقات العالمية التي تقرها تلك المؤسسات كاتفاقية "الجات" والمنظمة العالمية للتجارة وغيرها .

2- **القطب الواحد:** تفردت أمريكا بقيادة العالم بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، وتفكيك منظومته الدولية المسمى (حلف وارسو)، إنه لم تبلغ دولة عظمى في التاريخ قوّة أمريكا العسكرية والاقتصادية، مما يجعل هذا التفرد خطيراً على الآخرين في كل المجالات الاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والاجتماعية.

3- **ثورة التقنيات والمعلومات:** مرّت البشرية بعدّة ثورات علمية منها ثورة البخار والكهرباء والذرّة، وكان آخرها الثورة العلمية والتكنولوجية وخاصة في مجال التطورات السريعة والمدهشة في عالم الحاسوب الآلي (الكمبيوتر)، وتوصل الحاسوب الآلي الحالي إلى إجراء أكثر من مليارين عملية مختلفة في الثانية الواحدة، وهو الأمر الذي كان يستغرق ألف عام لإجرائه في السابق، أما المجال الآخر من هذه الثورة فهو التطورات المثيرة في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والتي تتيح للأفراد والدول والمجتمعات للارتباط بعدد لا يحصى من الوسائل التي تتراوح بين "الكبلات" الضوئية، و"الفاكسات" ومحطات الإذاعة، والقنوات التلفزيونية الأرضية والفضائية، التي تبث برامجها المختلفة عبر حوالي 2000 مركبة فضائية، بالإضافة إلى أجهزة الكمبيوتر، والبريد الإلكتروني، وشبكة المعلومات الدولية، التي تربط العالم بتكاليف أقل، وبوضوح أكثر على مدار الساعة، لقد تحولت تكنولوجيا المعلومات إلى أهم مصدر من مصادر الثروة، أو قوة من القوى الاجتماعية والسياسية والثقافية الكاسحة في عالم اليوم.

العدد 04 - 28 رمضان 1426 الموافق لـ 01 نونبر 2005

مفاهيم يجب أن تصحح

رشيد مومن الإدريسي

ضبط معاني الألفاظ والمصطلحات

(الحلقة الأولى)

يحتاج أهل المعرفة والثقافة -خصوصا- والناس -عموما- إلى ضبط معاني ألفاظ القرءان والسنة، وكلمات الصحابة - رضي الله عنهم - واصطلاحات العلماء على تباين فنونهم، والألفاظ التي يتداولها الناس على اختلاف أحوالهم وأعرافهم، لما يكتنف اللفظ أو المصطلح الواحد -في كثير من الأحايين- من الإشتباه لتعدد معانيه.

وقد حدد لنا العلماء -رحمهم الله- لضبط ذلك مجموعة من القواعد الفرائد، اجمالا وتفصيلا، تجنبا للاختلاف ما أمكن، فرحم الله الإمام ابن حزم حيث يقول:" لو اتفقت مصطلحات الناس لانتهت ثلاثة أرباع خلاف أهل الأرض"اهـ " المصطلح الأصولي ومشكلة المفاهيم" لعلي جمعة ص 47.

أما إجمالا فنقول: القاعدة الجامعة لدَرْءِ الاشتباه عن الألفاظ، وضبط معانيها، يحصل بأمرين اثنين:

- أولهما: استقراء المعنى والاستعمال(أي التتبع لهما).
- ثانيهما: إعطاء كل ذي حق حقه. انظر "الإحكام" لابن حزم- رحمه الله- 101/8.

أما على التفصيل:

- فالقاعدة الأولى : ضبط الألفاظ الشرعية (الحقيقة الشرعية)

عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام:" ليستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه "حديث صحيح لغيره أخرجه أحمد وابن ماجة انظر السلسة الصحيحة رقم 90.

قال ابن العربي المالكي- رحمه الله- تعليقا على الحديث:"وهو أصل في أن الأحكام إنما تتعلق بمعاني الأسماء لا بألقابها" نقله عنه الحافظ في الفتح 57/10.

فإذا كان الأمر كذلك فكيف يتوصل إلى معرفة الحقيقة الشرعية للألفاظ ؟.

ذلك بأمرين:

- الأول: استقراء النصوص الشرعية، وتتبع استعمال اللفظ المراد، وذلك بشدة البحث وكثرة النظر والمطالعة.

قال ابن حزم -رحمه الله-:"الوقوف على الحقائق لا يكون إلا بشدة البحث، وشدة البحث لا تكون إلا بكثرة المطالعة......." "التقريب" له198.

- الثاني: استعمال الصحابة وعرفهم للألفاظ، إذ الشرع نزل بلغتهم وبعرفهم في الأصل، وهو ما اصطلح عليه: بعرف زمن التشريع.

قال شيخ الإسلام- رحمه الله-:" ومن لم يعرف لغة الصحابة التي كانوا يتخاطبون بها ويخاطبهم بها النبي - صلى الله عليه وسلم-، وعادتهم في الكلام وإلا حرف الكلم عن مواضعه، فإن كثيرا من الناس ينشأ على اصطلاح قوم وعادتهم في الألفاظ ثم يجد تلك الألفاظ في كلام الله أو رسوله أو الصحابة، فيظن أن مراد الله أو رسوله أو الصحابة بتلك الألفاظ ما يريده بذلك أهل عادته واصطلاحه، ويكون مراد الله ورسوله والصحابة خلاف ذلك."اهـ أنظر" قاعدة جليلة " 77.



أما قول من قال أن معرفة ذلك مرجعه أصلا وفرعا إلى اللغة العربية فنقول: هذا صحيح لكن مع ضم فهم السلف الصالح ونهجهم لها جنبا إلى جنب، مع الاستقراء والتتبع كما - أسلفنا- كما أشار إليه الشاطبي -رحمه الله- في الموافقات وغيره.

وليعلم أن تفسير اللفظ الوارد في النص الشرعي بالحقيقة الشرعية أو العرفية أو اللغوية حسب القاعدة السابقة يصير هذا التفسير مرادا شرعا لا تجوز مخالفته دون دليل.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- :" الأسماء التي علق الله بها الأحكام في الكتاب والسنة:

منها ما يعرف حده ومسماه بالشرع، فقد بينه الله ورسوله، كاسم الصلاة، والزكاة..

ومنه ما يعرف حده باللغة، كالشمس، والقمر، والسماء...

ومنه ما يرجع حده إلى عادة الناس وعرفهم، فيتنوع بحسب عادتهم، كاسم البيع، والنكاح، والقبض، .. ونحو ذلك من الأسماء التي لم يحدها الشارع بحد، ولا لها حد واحد يشترك فيه جميع أهل اللغة، بل يختلف قدره وصفته باختلاف عادات الناس.

فما كان من النوع الأول، فقد بينه الله ورسوله، وما كان من الثاني والثالث، فالصحابة والتابعون المخاطبون بالكتاب والسنة قد عرفوا المراد به، لمعرفتهم بمسماه المحدود في اللغة أو المطلق في عرف الناس وعادتهم من غير حد شرعي ولا لغوي، بهذا يحصل التفقه في الكتاب والسنة.

والاسم إذا بين النبي -صلى الله عليه وسلم- حد مسماه، لم يلزم أن يكون قد نقله عن اللغة أو زاد فيه، بل المقصود أنه عُرِف مراده بتعريفه هو صلى الله عليه وسلم كيف ما كان الأمر، فإن هذا هو المقصود..

وإذا كان الأمر كذلك، فما أطلقه الله من الأسماء، وعلق به الأحكام، من الأمر والنهي، والتحليل والتحريم، لم يكن لأحد أن يقيده إلا بدلالة من الله ورسوله- صلى الله عليه وسلم- " اهـ "مجموع الفتاوي" 19/235-236.

يتبع

مفهـــوم التسامح

عودنا علماء الإسلام حماة الدين، عند الحكم على مصطلح حمال لأوجه، أن نستفصل من مطلقه عما يريده به؟ فإن أراد حقا أيدناه، وإن أراد باطلا رددناه عليه، وبينا مغالطته وتلاعبه بالألفاظ لاسيما إذا كان مروِّج هذا المصطلح من غير المأمونين عن دين المسلمين!

حيث المشكلة التي نعاني منها ليست خطط أعدائنا فذلك أمر متوقع، وإنما المشكلة في وجود صفٍّ في الداخل من بني علمان يعمل بمثابة البوق الذي لادور له سوى ترديد كلام الغرب وأفكارهم ومطالبهم التي حقيقتها التخلي عن دين الإسلام أو تغييره وتحريفه،- وهذا مطلب قديم طلبه المشركون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا:(إئت بقرءان غير هذا أو بدله) يونس 115 ـ وإذا لم يكن ذلك كله ممكنا في الوقت الراهن فيكون بالتدرج كما هو الواقع الملموس.

ومن هذه المصطلحات الفضفاضة التي تتضمن حقا وباطلا، والتي روج لها بنو علمان لتمرير أفكارهم ومعتقداتهم الباطلة - خاصة بعد الأحداث الأليمة التي مرت بها بلادنا، ـ حفظها الله من كل سوء- مصطلح "التسامح"، فرفعوا من شأنه مطالبين بنشر ثقافته بين الناس بدلا عما يسمونه "ثقافة العنف والكراهية"!

التسامح لغة وشرعا

التسامح في لغة العرب التي نزل بها القرءان تعني السهولة المنافية للصعوبة، واليسر المنافي للضيق والشدة، وكذلك كان دين الإسلام دوما.

قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الملل أفضل؟ فقال: (الحنفية السمحة) حديث صحيح رواه أحمد في مسنده وغيره.

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله-:" والسمحة : السهلة أي أنها مبنية على السهولة لقوله تعالى: (وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم) الحج 78 "اهـ فتح الباري، 941.

فالتسامح كلمة قريبة من نفوس المسلمين، محببة إليهم، لما تحمله من معان سامية جاءت نصوص شرعية كثيرة بالثناء على أهلها، كحديث:" رحم الله عبدا، سمحا إذا باع، سمحا إذا اشترى، سمحا إذا تقاضى" وحديث:" دخل رجل الجنة بسماحته"... إلى غيرهما من الأحاديث الصحيحة انظر"صحيح الترغيب والترهيب" للعلامة الألباني رحمه الله 326/2 وما بعدها.

لكن التسامح أو السماحة التي يوصف بها الإسلام لاتنافي التمسك بأحكامه والعض عليها بالنواجذ، بل تقتضيه وتدعو إليه.

فتحسين صورة الإسلام في أذهان الغربيين، والناس أجمعين، وإبراز محاسن الإسلام، لا يكون إلا بالتمسك به، والتأدب بآدابه، والدعوة إليه، ولايكون أبدا بانتقاصه واجتزائه، والتخلي عن شيء منه قربانا إلى الكافرين، وموالاة لهم من دون المؤمنين، كما هو حال العلمانيين.

مفهوم التسامح

قال الدكتور أحمد القاضي: "إن مفهوم التسامح الذي يتكئ عليه دعاة التقريب مفهوم فضفاض يتضمن حقاً وباطلاً، يحتم ضرورة الاستفصال عن المدلول المراد:

فإن أريد بالتسامح: العفو والصفح في المعاملة، بالتنازل عن بعض الحقوق الشخصية مالية أو معنوية، أو ما يحيله الشرع الإسلامي إلى اجتهاد ولاة أمور المسلمين في معاملة الحربيين من المنّ أو الفداء، حسب ما تقتضيه السياسة الشرعية، أو منح الذميين والمعاهدين والمستأمنين في المجتمع الإسلامي حقوقاً مدنية، وإذناً في البقاء على دينهم وعباداتهم، من غير إكراهٍ لهم على اعتناق الإسلام، فهو حقٌ جاء به الإسلام، وحفل به تاريخه، وفاق به جميع الأنظمة القديمة والحديثة... فهو بهذا المدلول فضيلة خلقية، ومنهجٌ نبيل ... لا يثلم عقيدة، ولا يهدر كرامة، ولا يضيع حقاً.

وإن كان التسامح يعني المداهنة، وإعطاء الدنية في الدين، وتسوية المسلمين بالمجرمين، وإدانة سبيل السابقين الأولين من المؤمنين، وإباحة جناب المجتمع المسلم لجحافل المنصرين والملحدين لإشاعة الفاحشة الفكرية والخلقية في الذين آمنوا، باسم "الحرية الدينية" و"التعددية الثقافية"، و"التنوع الحضاري"، وما شابهها من زخرف القول... فما هذا بتسامح، بل خنوع واستخذاء، ونزع للباس التقوى".اهـ

وآخيرا:

إننا نرفض التسامح المشبوه الذي يعني التدخل في شؤوننا، والدعوة لتغيير قيمنا وأخلاقنا، والسعي لتهجين مناهجنا، والعمل المتواصل لتركيعنا، لأن ذلك وإن سموه ثقافة التسامح فهوتسامح مغشوش يراد منه إذلالنا، بل استعمارنا من جديد، إنه تسامح بلا تسامح!!.

وندعو مقابل ذلك إلى التسامح الصحيح الذي حث عليه الإسلام، والذي أعجب به كثير من المنصفين من الغربيين، وأشادوا به في كثير من مصنفاتهم، من مثل "سير أرلوند" في كتابه "الدعوة إلى الإسلام" ، و "بجوستاف لوبون" في كتابه "حضارة العرب".

ثم نقول: لتنكفئ الأقلام المأجورة التي تعرض الإسلام عرضا منفرا، وتحارب الإسلام ودعاته بزعم أنهم متعصبون، ولتعمل إن كانت صادقة على كشف أباطيل الغربيين الذين يدعوننا إلى التسامح وهم أعداؤه.

وليتق الله- في الوقت نفسه- أقوام من أفراخ الخوارج الذين أساؤوا للإسلام وشوهوا سماحته بأفعالهم وأفكارهم - الضالة المضلة- من حيث يظنون أنهم يصلحون وضعا.

(قل هل ننبؤكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) الكهف103-104.

العدد 04 • 28 رمضان 1426 الموافق لـ 01 نوفمبر 2005

واحة الأدب

مختارات من روائع الزاهد العالم
الشاعر المجاهد عبد الله بن المبارك
رحمه الله تعالى

ترجمة عبد الله بن المبارك رحمه الله

- نبذة عن حياة الزاهد الشاعر المجاهد

هو عبد الله بن المبارك بن واضح، الإمام، شيخ الإسلام، عالم زمانه و أمير الأتقياء في وقته، أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم التركي ثم المروزي، الحافظ الغازي، أحد الأعلام. كان مولده في سنة ثمان عشرة ومئة.

قال نعيم بن حماد: كان ابن المبارك يُكثر الجلوس في بيته، فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف استوحش و أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم و أصحابه؟

قال أشعث بن شعبة المصِّيصي: قدم الرشيد الرقة، فانجفل الناس خلفَ ابن المبارك، وتقطعت النعال و ارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين من برج من قصر الخشب، فقالت: ماهذا ؟ قالوا: عالم من أهل خراسان قدم، قالت: هذا والله المُلكُ، لا ملكُ هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشُرط و أعوان .

قال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق: سمعت أبي قال: كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك، فيقول: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويُقفل عليها، ثم يكتري له, ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال يُنفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام و أطيب الحلوى، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي و أكمل مُروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقول لكل واحد: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طُرفها؟ فيقول: كذا وكذا فيشتري لهم، ثم يخرجهم إلى مكة فإذا قضوا حجهم قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة ؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يُخرجهم من مكة، فلا يزال يُنفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فيجصص بيوتهم و أبوابهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام عمل لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسرّوا دعا بالصندوق ، ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صُرته عليها اسمه.

قال سفيان الثوري: إني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة مثل ابن المبارك ، فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام . وقال ابن عُيينة: نظرت في أمر الصحابة، وأمر عبدالله، فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا بصحبتهم النبي صلى الله عليه وسلم، وغزوهم معه.

قال القاسم بن محمد بن عباد: سمعت سُويد بن سعيد يقول: رأيت ابن المبارك بمكة أتى زمزم فاستقى شربة، ثم استقبل القبلة، فقال: اللهم إن ابن أبي الموال حدثنا عن محمد بن المُنكدر عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:((ماء زمزم لما شُرب له)) وهذا أشربه لعطش القيامة، ثم شربه.

قال نعيم بن حماد: كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقاق يصير كأنه ثور منحور أو بقرة منحورة من البكاء، لا يجترئ أحد منا أن يسأله عن شيء إلا دفعه.

قال أبو حاتم الرازي: حدثنا عبدة بن سليمان المروزي قال: كنا سرية مع ابن المبارك في بلاد الروم ، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان، خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز ، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه رجل ، فطارده ساعة فطعنه فقتله فازدحم إليه الناس، فنظرت فإذا هو عبد الله بن المبارك وإذا هو يكتم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو هو . فقال : و أنت يا أبا عمرو ممن يُشنع علينا .

وقال أبو حسان عيسى بن عبد الله البصري : سمعت الحسن بن عرفة يقول : قال لي ابن المبارك: استعرت قلماً بأرض الشام، فذهبت على أن أرده فلما قدمت مرو نظرت فإذا هو معي، فرجعت إلى الشام حتى رددته على صاحبه . وقال أسود بن سالم : كان ابن المبارك إماماً يُقتدى به ، كان من أثبت الناس في السنة،إذا رأيت رجلاً يغمز ابن المبارك فاتهمه على الإسلام .

اجتمع جماعة فقالوا: تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: العلم، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والزهد، والفصاحة، والشعر، وقيام الليل، والعبادة، والحج، والغزو، والشجاعة، و الفروسية، والقوة، وترك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف، وقلة الخلاف على أصحابه.



قال حبيب الجلاب: سألت ابن المبارك، ماخير ما أعطي الإنسان؟ قال: غريزة عقل، قلت: فإن لم يكن ؟قال: حسن أدب ، قلت: فإن لم يكن؟ قال: أخٌ شفيق يستشيره، قلت: فإن لم يكن؟ قال: صمت طويل، قلت: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل .

عن عبد الله قال :إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تذكر المساوئ، وإذا غلبت المساوئ على المحاسن لم تذكر المحاسن.

قيل لابن المبارك: إذا أنت صليت لم لا تجلس معنا ؟ قال: أجلس مع الصحابة والتابعين، أنظر في كتبهم و آثارهم فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس .

وجاء أن ابن المبارك سُئل: من الناس؟ فقال: العلماء، قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهاد، قيل: فمن الغوغاء؟ قال: خزيمة وأصحابه (يعني من أمراء الظلمة)، قيل: فمن السفلة؟ قال: الذين يعيشون بدينهم.

وعنه قال: إن البصراء لا يأمنون من أربع: ذنب قد مضى لا يدري ما يصنع فيه الرب عز و جل، وعمر قد بقي لا يُدرى مافيه من الهلكة، وفضل قد أُعطي العبد لعله مكر واستدراج، وضلالة قد زينت يراها هدىً ، وزيغ قلب ساعة فقد يسلب المرء دينه ولا يشعر .

عن ابن المبارك قال : من استخف بالعلماء ذهبت آخرته ، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه ، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته .

مختارات من روائع الزاهد الشاعر المجاهد عبد الله بن المبارك

عن محمد بن إبراهيم بن أبي سُكينة، قال: أملى علي ابن المبارك سنة سبع وسبعين ومئة، وأنفذها معي إلى الفضيل بن عياض من طرسوس :

ياعابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يُتعب خيله في باطل
فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا
قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي وغبار خيل الله في
أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتابُ الله ينطق بيننا
ليس الشهيد بميت لا يكذبُ

فلقيت الفُضيل بكتابه في الحرم فقرأ و بكى ثم قال : صدق أبوعبد الرحمن ونصح .

الاستعداد للقاء الله

حدّث عبدالله بن المبارك قال: تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضان، فأحاديث ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فتطاير الصحف في الأيدي، ثم أنشد:

وكيف قرّت لأهل العلم أعينهم
أو استلذوا لذيذ نوم أو هجعوا
والموت ينذرهم جهرا علانية
لو كان للقوم أسماع لقد سمعوا
والنار ضاحية لا بدّ موردهم
وليس يدرون من ينجو ومن يقع
قد أمست الطير والأنعام آمنة
والنون في البحر لم يخش لها فزع
والآدمي بهذا الكسب مرتهن
له رقيب على الأسرار يطلع
حتى يوافيه يوم الجمع منفردا
وخصمه الجلد والأبصار والسمع
إذ النبيون والأشهاد قائمة
والإنس والجن والأملاك قد خشعوا
وطارت الصحف في الأيدي منشرة
فيها السرائر والأخبار تطّلع
يودّ قوم ذوو عز لو أنهم
هم الخنازير كي ينجو أو الضبع
كيف شهودك والأنباء واقعة
- عما قليل - ولا تدري ما يقع
أفي الجنان وفوز لا انقطاع له
أم الجحيم فما تبقي ولا تدع
تهوى بهلكاتها طورا وترفعهم
إذا رجوا مخرجا من غمها وقعوا
طال البكاء فلم ينفع تضرّعهم
هيهات لا رقة تغني ولا جزع
هل ينفع العلم قبل الموت عالمه
قد سال قوم بها الرجعى فما رجعوا

العدد 04 . 28 رمضان 1426 الموافق لـ 01 نوفمبر 2005

قراءة في كتاب:

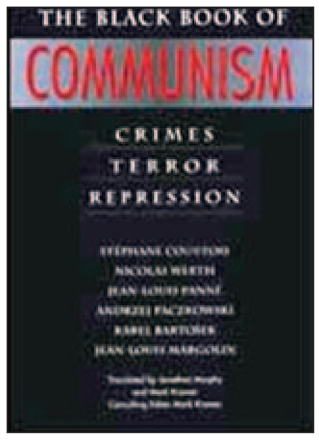
هذا الكتاب يؤرخ للإرهاب البشع الذي مارسته الشيوعية والاشتراكية في حق الأبرياء والبسطاء من المواطنين الرافضين لظلم هذا النظام الاستبدادي، الذي لم يضف للإنسانية شيئا غير المزيد من سفك الدماء، وقتل الأرواح وهتك الأعراض، إلا أننا كمسلمين لا يجب أن نسقط من أذهاننا ونحن نقرأ تاريخ الاشتراكية العفن، أن عمليات الإرهاب والقمع والتقتيل التي اقترفها النظام الشيوعي والاشتراكي سواء في الاتحاد السوفياتي أو جمهوريات يوغسلافيا، إنما كانت تمارس في حق إخواننا المسلمين الذين قتل منهم الملايين في شكل إبادات جماعية وتصفيات لقبائل مسلمة بأكملها، ومما يثبت أن الإرهاب هو من ثقافة الاشتراكيين والشيوعيين أنه رغم سقوط ايديولوجياتهم إلا أنهم لم يكفوا عن تقتيل المسلمين في البوسنة والهرسك وكذا في الشيشان المسلمة وذلك بتواطئ أمريكا وأوربا، وما دام الأمر كذلك فبأي اشتراكية يبشرنا بعض أبناء جلدتنا ممن لا يرضون بالإسلام شريعة ومنهاجا ويطرحونها بديلا لأوامر رب العالمين. ونترك القارئ الكريم مع هذه القراءة في كتاب:

من إعداد الباحث: قاسم بنتهامي

السجل الأسود للشيوعية

كتاب: „The Black Book of Communism Crimes, Terror, Repression

تأليف: Harvard Univ Pr(1999)



جرائم وإرهاب وقمع الشيوعية.. والنازية تميزا في قتل الشعوب لا حكمها بول بوت.. جوّع الكمبوديين وجردهم من إنسانيتهم

حينما نشر كتاب «السجل الأسود للشيوعية» للمرة الأولى في فرنسا عام 1997 أثار عاصفة من الجدل استمرت حتى اليوم، حتى قام بعض المساهمين فيه بالتبرؤ من النتيجة التي توصل إليها "ستيفن كورتو" بأن الشيوعية، في كل صورها ليست أفضل حالا من النازية، وأن كلاً من النظامين الشيوعي والنازي، أفضل في القتل منهما في الحكم، وهذا ما تعلمه العالم من خلال المحنة التي مر بها.

ويوضح "كورتو" ورفاقه المؤرخون أن الشيوعية قتلت 25 مليون شخص في روسيا خلال الحقبتين البلشفية والستالينية وربما 65 مليوناً في الصين تحت سمع وبصر "ماو تسي تونج" ومليوني شخص في كمبوديا والملايين في أفريقيا وأوربا الشرقية وأمريكا اللاتينية وهو عدد مذهل من الضحايا ذهب ثمنا لسيادة هذا المذهب الرهيب.

وهذا القتل السافر الذي مورس في وضح النهار لم يكن مصادفة ولكنه كان جزءاً لا يتجزأ من فلسفة هذا المذهب وسياساته العملية، حيث تعهد بالقضاء على الصراع الطبقي والفروق الطبقية والتخلص من أي ميزة تتمتع بها أي جماعة ولا تتمتع بها جماعة أخرى في المجتمع. ويقوم "كورتو" ومن معه بتوثيق جرائم الشيوعية بالتفصيل منتقلا من بلد إلى آخر ومن ثورة إلى أخرى.

مجموعة السذج:

والأرقام التي يقدمونها مفحمة ومثيرة للصدمة ليس فقط بالنسبة إلى مناهضي الشيوعية ولكن أيضا بالنسبة إلى المؤيدين المتحمسين لها، كما يقول "كورتو" أيضا إن أولئك الذين اعتنقوا أفكار "لينين" و"تروتسكي" و"هوشي" منه كانوا مجموعة من السذج اعتقدوا، عن علم أو عن جهل، بمدرسة دموية لا يزال لها على الرغم من انحسارها في جميع أنحاء العالم الكثير من المؤيدين.

ويستعرض الكتاب جميع الجرائم التي ارتكبتها النظم الشيوعية من الثورة البلشفية وعبر "بول بوت" و"الخمير الحمر".

ويوضح أنه لم يكن هناك زعيم شيوعي واحد لم يقم بقتل عدد لا بأس به من مواطني شعبه الذين رأى أنهم غير مرغوب فيهم أو يجرؤون على معارضة حكمه، وهذا هو ما فعله "هتلر" وما فعلته النازية، ويبدي الكاتب دهشته البالغة من أنه ما زال هناك من يدافع عن هذه الجرائم وما زال هناك من يؤمن بـ"لينين" و"ستالين" و"ماو" و"كاسترو" وآخرين ممن تلطخت أيديهم بدماء الشعوب وأن هناك من لا يزال يؤمن بهذه الأيديولوجية على الرغم من إفلاسها.

تكميم الأفواه:

يتحدث الكتاب عن كبت الحريات وتكميم الأفواه ومصادرة الرأي الحر والحجر على أي فكر يخرج عن الخط المرسوم للنظام أو يحيد قيد أنملة عن النهج الذي وضعه الحزب الشيوعي.

ففي الصين على سبيل المثال وصلت إلى سدة الحكم في السبعينيات قيادة شيوعية جديدة بقيادة "دينج سياو بينج"، وقامت هذه القيادة بمجموعة من الإصلاحات للنهوض بالبلاد فقامت بالسماح بتملك الأراضي الزراعية وقيام مشروعات خاصة محدودة وفتحت أبواب الصين أمام الاستثمارات الأجنبية كما سمحت للطلاب الصينيين بقراءة الكتب الغربية والدراسة في الخارج، وكل هذه الأشياء كانت محرمة في ظل العهود السابقة ويعدّ من يحاول القيام بها خارجا على القانون وخائنا للوطن، وبعد أن ذاق الصينيون قدرا من الحرية الاقتصادية، أرادوا تذوق الحرية السياسية والفكرية، أي ممارسة الديموقراطية أيضا ولكن جانبهم الصواب وخانهم التقدير، فلم تكن الحكومة الصينية الشيوعية عازمة على منحهم أياً منها، وكانت النتيجة هي الصدام بين الشعب والحكومة فحدثت مذبحة «ميدان السلام» في يونيو 1989.

فقد تجمهر الآلاف من الشباب الصيني في "ميدان "السلام" الصيني أكبر ميادين الصين الواقع في قلب العاصمة بكين، يطالبون بمنع القمع الفكري وإلغاء الامتيازات السياسية لأعضاء الحزب الحاكم، والقضاء على الفساد، وإطلاق الحريات، وكان يساندهم بعض أعضاء الحزب الأصغر سنا، وقطاعات واسعة من سكان بكين وبعض الصحف غير الحكومية.

وقد رفضت الحكومة الصينية الاستجابة لأي من هذه المطالب أو حتى الاستماع لأي حديث أو إقامة أي حوار وعلى الفور كشرت عن أنيابها وأسفرت عن وجهها القبيح.

وأرادت أن تعلن للقاصي والداني أنها لا تزال تمسك بزمام الموقف، وتقبض على السلطة بيد من حديد، وأنها لن تسمح تحت أي مسمى من المسميات، أو أي حجة من الحجج، أن تكون هناك أي سلطة أخرى تملي عليها ما تفعله، وعلى مرأى ومسمع من العالم أجمع تدخلت القوات الحكومية واعتقلت الآلاف من الطلاب وأطلقت النارعلى الآلاف فسقطوا مدرجين بدمائهم.

وقد استشهد بعض المراقبين بآراء "دينج سياو بينج" حول كيفية معالجة حركة الديموقراطية الصاعدة حيث قال: "إن الصين تحتوي على عدد مهول من السكان ولن يكون أمراً كثير الأهمية إذا قتلنا بضعة مئات الآلاف، مقابل عشرين عاما من الاستقرار".

القتل والارهاب:

ويقدم المؤلفون روايات عن القتل والإرهاب الشيوعي في روسيا تحت حكم "لينين" و"ستالين"، وفي "إسبانيا" خلال الحرب الأهلية في الثلاثينيات، وفي أوربا الشرقية، والصين، وكوريا الشمالية، وفيتنام، ولاوس، وكمبوديا، وأثيوبيا، وأنجولا، وموزمبيق، وأفغانستان، وكوبا، ونيكاراجوا.

ولكن ما يجري خلال كل هذه الدراسات المنفصلة هو التماثل المروع في التجربة، بغض النظر عن الزمن أو الثقافة أو الظرف التاريخي الذي وصل فيه الشيوعيون إلى السلطة، ففي كل حالة من الحالات تم اتباع السيناريو السياسي التالي نفسه:

أولا: دمج سريع للسلطة السياسية في أيدي الشيوعيين على سبيل الاحتكار.

ثانيا: القبض والسيطرة على كل وسائل المعلومات والإنتاج والترابط الإنساني.

ثالثا: تشكيل بوليس سري.

رابعا: التقسيم السياسي الشكلي للمجتمع إلى أعداء وأصدقاء.

خامسا: بدء عهد من الإرهاب والعنف لقمع وتدمير أي شكل من أشكال المعارضة والمقاومة، بما في ذلك محاولة تدمير كل جوانب الحياة الخاصة والسيطرة عليها.

سادسا: الاعتقالات الجماعية لأعداء الطبقة، وحبسهم أو قتلهم أو نفيهم داخل معسكرات للأشغال الشاقة وإعادة تثقيفهم.

سابعا: تجارب مدمرة بسبب التخطيط الاشتراكي المركزي مما أدى إلى انتشار المجاعات والقحط والقتل الجماعي نتيجة للجوع الذي تسببت فيه تلك الحكومات.

الظروف التاريخية:

إن التسلسل الدقيق لهذه الأطوار من الممارسة الشيوعية ونتائجها ربما يختلف، وذلك بناء على الظروف التاريخية التي جاء فيها «الديكتاتوريون البروليتاريون» إلى الحكم وتوطيد أركانه من أجل تمهيد الطريق للسير نحو عالمهم، ولكن كانت النتيجة النهائية دائما واحدة: جحيم على الأرض.

على سبيل المثال، يتحدث الكتاب عن كمبوديا تحت كابوس حكم "بول بوت" و "الخمير الحمر" في فترة السبعينيات، وكيف تم استخدام الجوع كأداة منظمة للتحكم والسيطرة حيث يقول: «إن الجوع الذي سحق الكثير من الكمبوديين على مدى السنين قد تم استخدامه بشكل متعمد من جانب النظام لخدمة أغراضه، وكان الناس الأكثر جوعا هم الذين كانت أجسادهم تستطيع اختزان القدر الأقل من الغذاء، والذين كان احتمال هروبهم هو الاحتمال الأقل، ولما كان الناس تستحوذ عليهم دائما فكرة واحدة هي كيفية الحصول على الطعام، فإن كل تفكير فردي وكل قدرة على المناقشة بل كانت لابد أن تختفي، وجعلت أعمال التلاعب بإمدادات الطعام عمليات الإجلاء القسرية أكثر سهولة، وشجعت على القبول بالكانتونات الجماعية، وأضعفت أيضا العلاقات بين الأفراد، بما في ذلك العلاقة بين الآباء وأطفالهم.. وجرد الجوع الناس من إنسانيتهم مما حدا بالواحد منهم إلى مهاجمة الآخرين، ولم يعد الشخص يملك أي شيء سوى بقائه على قيد الحياة، واضطر الناس إلى الغش والخداع والكذب والسرقة وقست قلوبهم وتحولت إلى صخر.. وكان كل واحد منهم مع التباين مستعدا لتقبيل اليد التي تقدم له الطعام بغض النظر عن كونها ملطخة بالدماء».

وبتدمير كل شكل من أشكال الارتباط الإنساني وأي إحساس أساسي وطبيعي بالإنسانية وآداب السلوك المشتركة، فقد أمل الشيوعيون في القضاء على أشكال الوحدة الإنسانية بحيث يصبحون عندئذ قادرين على إعادة قولبة الناس والمجتمع حسب رؤيتهم للعالم الجديد، ولكن في نظرهم كان كل شيء يسير سيرا حسنا، وأنهم فعلوا كل ما فعلوه بدافع الحب.

العدد 04 • 28 رمضان 1426 الموافق لـ 01 نوفمبر 2005

الإرهاب الشيوعي والجناية على البشرية

قاسم العلوش
باحث في العلوم السياسية

مقدمة

إن بداية القرن العشرين كانت أدمى فترة في تاريخ البشرية، إذ قتل فيها أكثر من 250 مليون إنسان في الحروب والمجازر الجماعية وفي الاغتيالات السياسية، والمسؤول الأكبر عن هذه المجازر الوحشية هي الأيديولوجية المعروفة بالشيوعية التي وعدت الإنسانية بالمساواة والعدالة المزعومة، لكنها لم تكن في الحقيقة إلا مسببة للدم والرعب والموت للإنسان.

وسنعرض في هذا المقال لنماذج من تاريخ الشيوعية الدموي خلال قرن من حياتها، وهي نماذج اعتقد أنها تغنينا عن استقصاء كل الجرائم المرتكبة باسم الشيوعية والاشتراكية، و سنرى من خلالها كيف أظهرت هذه الإيديولوجية وحشية لا مثيل لها في تاريخ البشر. ونحن هنا سنورد الأسباب الفكرية والإيديولوجية الكامنة خلف الإرهاب الشيوعي الأحمر الذي عانت منه الإنسانية طوال قرن من الزمان مع إعطاء إحصائيات، وعرض صور من الإرهاب والوحشية التي أنتجتها "ماكينة" الإيديولوجية الشيوعية البائدة، انطلاقا من روسيا والصين مرروا بكمبوديا وأفغانستان وصولا إلى ما عانت منه كثير من الدول العربية والإسلامية من اضطرابات وقلائل سياسية واجتماعية وأزمات اقتصادية نتيجة وجود تنظيمات شيوعية ماركسية- لينينية بها، هذه التنظيمات البائسة قد اكتوى بنيران حقدها مختلف فئات المجتمع المغربي طوال فترات السيتينات والسبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي.

ولمعرفة أسباب الإرهاب الشيوعي ودموية هذه الأيديولوجية سنعرض للأسس والمبادئ التي قامت عليها، فما هي هذه الأسس؟ وماذا ترتب عنها؟

كما أننا سنعرض لبعض صور الجرائم والإرهاب التي عرفتها البشرية وهي أمثلة فقط من تاريخ الشيوعية الأسود ليس إلا، وهي صور مأخوذة من فترة حكم المؤسسين الفعليين للحكم الشيوعي في الاتحاد السوفياتي البائد.

أولا: أسس الإرهاب الشيوعي

1 ـ المادية الديالكتيكية واحتقار الإنسان

إن الأرضية الخصبة التي أنتجت لنا تاريخ الشيوعية الدموي والوحشية التي مارستها كل الأنظمة الشيوعية على شعوبها هو اعتقاد مُنَظِّري ومُطَبِّقِي الأفكار الشيوعية الماركسية، والمتمثل في الفلسفة المادية الديالكتيكية، هذه الفلسفة أدت بهم إلى اعتقاد أن الإنسان نوعا من الحيوان وينبغي معاملته دون شفقة أو رحمة وأن تطور النوع البشري مرهون بشدة الصراع بين الطبقات. فمثلا لينين الذي كان يرى أن الإنسان نوع من الحيوان اتبع الأساليب الحيوانية في ترويضه للناس. ففي أكتوبر من عام 1918 وجد لينين في زيارته للعالم الروسي "أيفان بافلو" المعروف بنظرية الفعل اللاإرادي الشرطي لدى الحيوانات، فأراد لينين أن يطبق هذه النظرية على المجتمع الروسي كله، فاندهش بَبَافلو" وقال : قال لي لينين: أريد أن أجعل المجتمعات الروسية تفكر كليا بالنظام الشيوعي وأن تتحرك به، لقد اندهشت، لقد أراد مني أن أفعل بالإنسان ما فعلته بالكلاب، وقلت له: أتريد أن تجعل المجتمع الروسي نموذجا قياسيا؟ فكان جوابه: نعم تماما أريد ذلك، ينبغي أن يتحرك الناس كما نريد.(مأساة الشعوب، فيكس أورلاندو،1997).

2ـ الماركسية تطبيق للداروينية في العلوم الاجتماعية

فقد طبق لينين الداروينة تماما على المجتمع فقتل بقسوة الجماعات البشرية التي كان يراها قطيعا من الحيوان يحكمها ما يحكم الحيوان من صراع من أجل البقاء والبقاء للأقوى، وليس الإنسان في الحقيقة حيوان ولكنه كيان ذو كرامة، خلقه الله وكرمه وسخر له ما في السماوات والأرض، وليست غاية الوجود الإنساني على الأرض الصراع والحروب وسفك الدماء كما تظن الشيوعية والداروينية، ولكن يعمر الأرض التي استخلفه الله فيها بالأعمال الصالحة، ولينين وأمثاله من الطواغيت والمجرمين الذين أنكروا هذه الحقيقة كانت نهاية حياته على هذه الأرض كمختل عقليا لا يفقه من حاله شيئا.

ثانيا: جرائم الشيوعية اتجاه البشرية

لقد تعددت وتنوعت جرائم الشيوعية التي عانت منها الإنسانية طوال قرن من الزمن تقريبا، وذلك نظرا لعقلية زعمائها ونفسياتهم التي كانت مؤطرة بالأيديولوجية الداروينية حتى النخاع و التي اعتبرت الإنسان مجرد حيوان، فقد تفنن زعماء الشيوعية البائسين في قتل الناس: بين قتلهم جوعا أو العمل على تصفيتهم جسديا في إطار سياسة الاغتيالات السياسية أو قتلهم في إطار مجازر جماعية وحروب توسعية.

1 ـ قتل الناس جوعا للتمكين للعقيدة الشيوعية في البلاد

فقد تسبب البلاشفة في بداية حكم الشيوعية، نتيجة القرار الذي اتخذه لينين بنزع الملكية الخاصة ووضع يد الدولة على حصاد المحاصيل، في أفدح الكوارث الإنسانية والتي كان ضحيتها القرويون الروس.

ويصف أحد المفتشين الذي كان مكلفا بالبحث والتنقيب عن محاصيل القرويين الروس في فبراير 1922 الإجراءات المتخذة من طرف القوات الخاصة المكلفة بذلك قائلا: (لقد بلغت أعمال القوات الخاصة المغتصبة درجة لا يتخيلها عقل، كان القرويون المعتقلون يحشدون في حظائر للحيوانات باردة مغلقة ويضربون بالسياط، ويهددون بالموت، وكل فلاح قصَّر عما يجب إعطاؤه للبلاشفة، تربط يداه وذراعاه ويؤمر أن يركض عاريا في الطريق العام للقرية، ثم يُرمى به إلى حظيرة باردة بعد أن يضرب حتى الإغماء) (السجل الأسود للشيوعية ص: 159).

كان لينين يهذي إلى درجة الجنون إذا لم يدفع القرويون الضريبة المفروضة عليهم فقرر بذلك عقوبة مرعبة رهيبة في بعض المقاطعات عام 1920 وهي أن يسلب من القرويين ليس المحصول فقط بل بذورهم كذلك. ومعنى هذا أن ليس هناك محصول جديد، ومعنى هذا أيضا أنه لن يبق بين يدي هؤلاء ما يأكلونه.

وقد كان نتيجة هذه الوحشية الشيوعية أن مات حوالي 5 ملايين روسي نتيجة عموم القحط في البلاد والمجاعة التي ضربتها بعد ذلك عام 1921، كما تم تشريد نحو 29 مليون إنسان، وقد كان لينين يتابع نتائج سياسته الشيطانية بشغف كبير وكان يعتبرها ذات فائدة عظيمة، لأنها في نظره تساعد على زحزحة عقيدة الإيمان بالله من نفوس الناس وتخضع رقاب هؤلاء للعقيدة الشيوعية. ويذكر هذه الحقيقة أحد أصدقاء لينين قائلا : (لم يكن لينين يتورع من ذكر الجانب الإيجابي للجوع قائلا: إن الجوع سيقربنا إلى أهدافنا ويوصلنا إلى الاشتراكية التي هي عهد ما بعد الرأسمالية، فالجوع لا ينهي اعتقاد الناس بالقيصر فحسب، وإنما ينهي اعتقادهم بالله كذلك). (السجل الأسود للشيوعية ص: 165).

وقد استأنف هذه السياسة خليفة لينين من بعده، ستالين حيث تسبب هو كذلك في موت الناس جوعا، إذ وصل الحد بالناس في روسيا إلى أكل لحوم البشر. وقد تسببت سياسة الاستيلاء على وسائل الإنتاج والمحاصيل الزراعية كذلك إلى موت حوالي 6 ملايين من الناس جوعا.

هذا ناهيك عن عشرات الآلاف من القتلى المخالفين للعقيدة الشيوعية الذين قتلوا على أيدي مؤسس إحدى أكثر الإمبراطوريات ظلما ووحشية في العصر الحديث وأغلبهم كانوا من المسلمين الروس.

2ـ الإرهاب الستاليني والقبضة الحديدية على الشعوب المستعمرة

أما الفترة الستالينية فقد كانت أحلك و أشد قسوة من فترة لينين، فقد أنسى ستالين بقسوته ووحشيته الناس أهوال فترة لينين . إذ لم يسلم من بطشه حتى أقرب المقربين إليه من رفاق الدرب والعقيدة الشيوعية، وقد كان القتل والفتك هما الوسيلة والنتيجة لسياسة الاغتيالات السياسية التي انتهجها طيلة فترة حكمه - ثلاثين سنة -، وأثناء محاولته السيطرة على الشعوب الأخرى المجاورة واحتلال أراضيها، مما تمخض عنه مقتل ما يقارب أربعين مليون إنسان.

وكمثال على سياسة الاغتيالات السياسية التي انتهجها الدكتاتور "ستالين" مع رفاق الدرب كذلك، ما وقع سنة 1934 بعد أن رفض 1300 مندوب من أصل 1900 حضروا مؤتمر الحزب الشيوعي إعادة انتخاب ستالين سكرتيرا عاما للحزب الشيوعي في نهاية الاقتراع السري. حيث عمد ستالين إلى قتل نحو 1000 مندوب بعد ذلك خلال عدة أشهر عن طريق الشرطة السرية التابعة لستالين.

كما عمل ستالين على نفي سكان البلاد التي احتلها خلال وبعد الحرب العالمية الثانية إلى أراضي سيبريا حيث قضى ملايين الناس حتفهم هناك نتيجة الجوع والبرد القارس، وقد كان نصيب البلاد الإسلامية التي اجتاحتها القوات الشيوعية النصيب الأوفى من الدمار والقتل والتشريد، وقد كانت بلاد القوقاز والقرم الإسلامية الضحية الكبرى لسياسة ستالين الظالمة، حيث تم تهجير ما يقارب 400 ألف من المسلمين من مدنهم وقراهم في ليلة واحد في 19 فبراير 1944، إلى المناطق البعيدة للاتحاد السوفياتي أو إلى معسكرات العمل وأكثر من نصفهم ماتوا في الطريق، وما زال المسلمون يعانون من إرهاب الشيوعية إلى يومنا هذا، في جمهورية الشيشان المسلمة تحت سمع وبصر العالم المتمدن الذي يتشدق بحقوق الإنسان صباح مساء.

لقد وصل إرهاب الشيوعية حدا دفع كثيرا من مفكريها ومنظريها إلى الحكم بعقم الأسس والمبادئ التي قامت عليها، كما دفع مختلف الشعوب التي كانت مكتوية بنار الأحزاب الشيوعية والاشتراكية الجاثمة على صدورها إلى الثورة عليها وتخليص بلدانها من ذلك الكابوس المخيف المسمى بالشيوعية، فذهبت دولها وذهب معها أكابر مجرميها إلى حيث لا رجعة.

العدد 04 • 28 رمضان 1426 الموافق لـ 01 نوفمبر 2005

صحة . أسرة

أنفلونــزا الطيــور

الأستاذ علي نجم

1. تعريف:

هو مرض فيروسي يصيب الطيور (أغلب أنواع الطيور) الداجنة منها والبرية كما يمكن أن يصيب أنواع أخرى من الحيوانات كالخنزير.

ينتقل إلى الإنسان عن طريق الطيور المصابة.

- الفيروس المسبب:

هو فيروس من نوع الأنفلونزا فيروس A الذي ينتمي الى عائلة orthomyxo virus مشابه لفيروس الأنفلونزا البشرية، وهو فيروس متحول يغير تركيبته بين فترة وأخرى مما يجعل عملية التطعيم ضده في أغلب الأحيان غير مجدية.

تحتوى تركيبته على كل أنواع الهيما كلوتينين hemaglutinine من H1 إلى H15 وكل أنواع "النور امنيداز" Neuraminidase من N1 إلى N9، هذه الفيروسات تكون متواجدة عند الطيور دون أعراض الإصابة أو قد تسبب أعراض خفيفة، ولكن وحدها الفيروسات الحاملة لـH5 أو H7 قابلة للتحول لتصبح شديدة الخطورة وتسبب أعراض قاتله 100 عند الطيور وقادرة على الانتقال إلى الإنسان.

3. نبذه تاريخية:

تم تعريف هذا المرض عند الطيور منذ بدايات القرن الماضي في مناطق جنوب شرق آسيا، ولكن لم يقع التأكد من إمكانية وخطورة انتقاله للإنسان إلا في سنة 1997 عندما أصيب 18 شخصاً بفيروس أنفلونزا الطيور من نوع (A) H5 N1 في هونج كونج (18 حالة توفى منهم 6) في سنة 1999 تم اكتشاف حالتين بشريتين في هونج كونج وكذلك حالتين في سنة 2003، كما أنه في نفس السنة 2003 في هولندا وقع اكتشاف 83 حالة إصابة بشرية بفيروس من نوع H7N7 مع وفاة حالة واحدة.

4. الوضعية الحالية:

حالياً ينتشر الفيروس (H5N1) بين الدجاج في البلدان الآسيوية التالية : كمبوديا ، تايلندا ، فيتنام ، كوريا الجنوبية ، اليابان، الصين ورومانيا كما تم في هذه البلدان الإعلان على بعض الإصابات البشرية بهذا الفيروس.

5. العدوى عند الإنسان:

ينتقل الفيروس إلى الإنسان عن طريق الطيور المصابة بصفة مباشرة أو غير مباشرة.

كيفية العدوى: ينتقل الفيروس إلى الإنسان عبر التنفس بواسطة مخلفات الطيور المصابة أو إفرازات جهازها التنفسي وذلك بصفة مباشرة من الطيور (حية أو ميته) أو غير مباشرة (الأماكن والأدوات الملوثة بمخلفات وإفرازات الطيور المصابة) .

كما يمكن أن ينتقل الفيروس عن طريق العين بالتعرض المباشر (خصوصاً في المخابر).

إلى حد الآن لم تقع أي حالة عدوى من إنسان إلى إنسان.

من هم الأكثر عرضة للإصابة:

- العاملون في مزارع الدواجن ومنتجو الدجاج والطيور الداجنة.
- تجار وناقلوا الدواجن.
- البياطرة والفنيون العاملون في حقل الدواجن.
- العاملون في مخابر المهتمة بهذا الفيروس.

6. أعراض الإصابة بفيروس انفلونزا الطيور:

هي نفس أعراض الأنفلونزا الحادة.

- رشح.
- سعال.
- إحساس بالالتهاب في الأنف ومجرى الهواء.
- صعوبة في التنفس.
- ارتفاع حرارة الجسم.
- أوجاع في العضلات والمفاصل مصاحب لارتفاع الحرارة.
- إحساس بالإعياء.

7. علاجه:

لا يوجد علاج مباشر للإصابة بالفيروس ، ولكن العلاج يكون بعلاج الأعراض Symptomatic ومنع حدوث مضاعفات وتعكرات، والحفاز على الوظائف الحياتية للجسم وتوازنه.

8. الوقاية:

- إجراءات عامة : التقيد بقواعد حفظ الصحة من حيث الحرص على نظافة اليدين والجسد والمحيط والحرص على نظافة الخضار والفواكه إضافة إلى عدم أكل لحوم الدواجن والبيض غير المطهوة جيداً.
- عند الانتقال الى البلدات التي يوجد فيها المرض: عدم ارتياد مزارع وأسواق الدواجن والأماكن التي تتواجد فيها الطيور بكثرة.
- عدم استقالة دواجن أو طيور (مهما كان نوعها) من البلدان التي ظهر فيها المرض.
- بالنسبة للمسعفين والعاملين بالميدان الطبي وميدان الإسعاف: استعمال الكمامات الواقية عند التعامل مع حالات الأمراض التنفسية، وحالات أعراض الإنفلونزا.

المشتقات الطليقة

إن الأكسجين ضروري لحياة الإنسان ، لكننا نجهل أن له وجها آخر: إنها المشتقات الطليقة أوالشوارد أو الأكاسيد الخطرة libres radicaux التي تخلق العديد من المشاكل الناتجة عن سوء التغذية وتلوث البيئة رغم أن العلم أصبح يعرف الكثير حول مسبباتها و عملها التخريبي وكيفية مقاومتها.

من أين تأتي هذه الأكاسيد الخطرة ؟

وتنتج هذه الشوارد عن تحول ذرات الأكسجين إلى حالة زيادة النشاط أو ما يسمى بالإيونات في علم الكيمياء، وينتج عن هذه الظواهر مجموعة من الأمراض نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر :

السرطان أمراض القلب والشراين والرئة .

الإعتلال المفصلي والربو والمنغولية.

الزهايمر والرعاش ومرض كراون .

الكتاراكت cataract والشيخوخة .

وتنتج المشتقات الطليقة عن عوامل خارجية و أخرى داخلية تتمثل في أيونات الأكسجين التي تنتج عن عمليات الأيض أو الإستقلاب -isme étabol وهي التفاعلات الكيميائية التي تمكن الجسم من القيام بعمليات البناء والهدم ، و من بين هذه العوامل نذكر:

- الإشعاعات الإلكترومغناطيسية مثل الأشعة فوق بنفسجية
- مواد كيميائية مثل بعض الأدوية والمبيدات في المزارع والبيوت
- المفاعلات النووية ومشاكل ثقب الأوزون
- الخشب
- الغبار
- الرياضة العنيفة
- تنتج الخلايا المناعية الأكاسيد لتحطيم الأجسام الغريبة ، لكنها قد تضر أحيانا بالجسم نفسه .
- تنتقل الإلكترونات على مستوى المتكندريmitochondrie لإنتاج الطاقة ، لكن قد تفلت إحداها لتتسبب في أكاسيد مضرة.

ما هي مضادات المشتقات الطليقة ؟

تسمى المشتقات الطليقة موادا مؤكسدة لأنها تأكسد الجزيئات للحصول على الإلكترونات التي ستضمن لها استقرارها ، ويتدخل الجسم لمقاومة هذه السموم بواسطة أنزيمات خاصة تصطاد المشتقات الطليقة ، لكن المشكل يظهر إذا نقصت هذه الأنزيمات في الجسم أو إذا ارتفعت كمية المشتقات الطليقة خصوصا مع تقدم السن ، فهنا تدق الخلية ناقوس الخطر الذي قد يصل إلى الموت . ولذلك فإن الخلايا تحتاج علاوة على هذه الأنزيمات إلى مضادات الأكسدة التي يحصل عليها الجسم من الأغذية وهي عبارة عن فيتامينات أو مواد معدنية .

فالتغذية المتوازنة والممنهجة تمكن من الوقاية من المشتقات الطليقة ، إذ أثبتت مجموعة من العناصر الغذائية نجاعتها في مقاومة هذه العناصر الخطيرة ، ومن بين المواد الغذائية التي تتوفرعلى الخاصية المضادة للأكسدة نذكر ما يلي:

- الخضر والفواكه والتي ينصح تفادي الاحتفاظ بها بكثرة لأن مفعولها يضعف .
- الزيوت النباتية
- بعض النباتات مثل

papayeh ginkgo biloba

- الفواكه الجافة والثمر

وخلاصة الأمر أن المشتقات الطليقة تشكل خطرا كبيرا على حياة الإنسان، ورغم أن العلم آكتشف الكثير حولها لكن الطريق لازال طويلا لآكتشاف المزيد والقضاء على هذه السموم . وتبقى التغذية السليمة والمحافظة على البيئة أنجع الحلول للتصدي لهذه الشوارد في آنتظار المزيد من التقدم العلمي .

النوم الكافي يساعد الأطفال على التفوق

أظهرت دراسة بحثية جديدة أن 85 من الأطفال، من الروضة إلى الصف الرابع الابتدائي لا يحصلون على قسط كاف من النوم، ويقع 15 منهم فريسة لنوم عميق في المدرسة.

وقيل إن هذا النقص في النوم هو ما يسبب ضعف الأداء الدراسي وإصابة الطفل بالعدوانية وبمشكلات سلوكية أخرى في المدرسة .

وأشار الخبراء إلى أن الطفل في سن الخمس سنوات يحتاج إلى 11ساعة من النوم يوميا، بينما يحتاج الطفل في سن التاسعة إلى 10ساعات، لذا من المهم تعويد الأطفال على النوم المبكر سواء في العطلات أو أيام المدارس.

أما الأطفال في المدرسة الثانوية فيحتاجون إلى ٩ساعات من النوم يوميا ، لأن النوم المفرط عند المراهقين والشباب الصغار يسبب تغيرات فسيولوجية أثناء البلوغ.

وأظهرت الدراسات أن 20 من طلاب الثانوية ينامون في الفصل بسبب عدم حصولهم على قسط وافر من النوم في البيت.

وحذر الخبراء إلى أن هذا النقص في عدد ساعات النوم يسبب مشكلات في الذاكرة والانتباه والتركيز ، ويضعف الأداء الدراسي واليقظة، ويؤخر الاستجابات ويزيد العصبية والقلق والكآبة، مؤكدين أن النوم عنصر مهم للصحة الجيدة والنشاط والحيوية والنفسية المرتاحة سواء للبالغين أو الأطفال أو الرضع الذين يحتاجون إلى 3 عناصر أساسية ضرورية لحياتهم هي (الطعام-والحب-والنوم).

العدد 04 • 28 رمضان 1426 الموافق لـ 01 نونبر 2005

الطيب الصديقي و اليهود

نشرت مجلة "الصحيفة المغربية" الأسبوعية في عددها الصادر بتاريخ 2005/09/26، استجواباً مع الممثل والمخرج المسرحي المغربي الطيب الصديقي، وقد اختارت له المجلة عنواناً مثيراً هو: "أنا مستعد للتمثيل مع الإسرائيليين، وبالعبرية!"، ولا أخفي أنني عندما قرأت هذا العنوان ظننت لأول وهلةٍ أنه مبالغةٌ من المجلة من باب الإثارة لجذب القارئ, إلا عندما أنني قرأت الاستجواب عرفت أن ظني كان في غير محله، وأن الصديقي قد قالها فعلاً وأنه يعني ما يقول, فرداً على سؤال للمجلة حول فحوى زياراته المتكررة لإسرائيل، أجاب: «هذه الزيارات لا علاقة لها بالعمل الفني أو النشاطات المسرحية، ثم إن إسرائيل تحتل أراضٍ فلسطينية ولا تحتل وجدة أو تازة », وعندما سُئل هل لا يزال مستعداً للتمثيل مع الإسرائيليين كما صرح سابقاً لمجلة ثقافية، أجاب: « نعم بل ومستعدٌ للتمثيل باللغة العبرية».

الصديقي ليس لديه مشكلة مع إسرائيل لكونها لا تحتل تازة ولا وجدة، ألم يسمع هذا الصديقي عن شيء يسمى رابطة الأخوة في الإسلام؟.

ألم يسمع قوله تعالى: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ] ؟ ألم يسمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن المسلم أخو المسلم"؟ ألم يسمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد"، ألم تلامس هذه النصوص وغيرها يوماً مسامعه؟ أم أنه لا يعتبر نفسه معنياً بالآيات القرآنية وبأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم؟.

هل تحتل إسرائيل بقعة مقدسةً من أراضي المسلمين وتمعن في أهلها تقتيلاً وتشريداً على مدى عشرات السنين، وترتكب في حقهم المجازر التي تترفع حتى وحوش الغاب عن ارتكابها، ومع ذلك لا يجد الصديقي أي مشكلٍ في التعامل معها؟ فمتى إذن يجد مشكلاً في التعامل مع دولةٍ ما؟ وما هو هذا الخط الأحمر الذي إذا تجاوزته دولةٌ ما يصبح التعامل معها، في نظره، محرماً ومقاطعتها واجبةً؟ إن كان هذا الخط الأحمر مرتبطاً باحتلال تلك الدولة لأرضٍ مغربية، فهلا أخبرنا بموقفه من الجارة إسبانيا التي تحتل سبتة ومليلية وجزيرة ليلي والجزر الجعفرية منذ أكثر من خمسة قرون؟ أليست هذه الأراضي مغربيةً خالصةً يشهد بذلك التاريخ والجغرافيا؟ فماذا فعل ضد إسبانيا؟ وهل هو من دعاة تجييش الجيوش لمحاربتها وطردها من بلادنا؟ أم تُراه يدعو على الأقل إلى مقاطعتها ديبلوماسياً وتجارياً وسياسياً حتى تفيء إلى الحق وتخرج من بلادنا صاغرة؟

الجواب بالجزم أنه لا يدعو إلى أي شيء من هذا كله, إذن فالصديقي لا يملك مقياساً صحيحاً يحدد على أساسه طبيعة الموقف الذي يجب أن يتخذه ضد دولة معينة، سواءٌ كان عداءً، أم موالاةً أم حياداً, وهو لا يملك إلا مقياساً واحداً: مصلحته الشخصية الضيقة، يدور معها حيث دارت, فلا حسٌّ إسلامي لديه يجعله يستشعر آلام المسلمين ويتفاعل معها، فما دامت الضربة لم تقع على أُمِّ رأسه هو، ووقعت على بعد سنتمترات منه وخرج منها سالماً، فلا مشكل لديه، ولا يهم إن هَشَّمت الضربة رأس جاره، المهم أن يسلم رأسه هو, أما مصالح الناس وحقوقهم، وما يسببه من أذىً نفسي لمن حوله بمثل هذه التصريحات المقززة، فذلك أمرٌ لا يعنيه.

هذا هو الصديقي الفنان، النجم، المبدع، المخرج، ذو الحس المرهف،... إلى غير ذلك من أوصاف التلميع التي تطلقها عليه وسائل إعلامنا، رجلٌ لا يجد مشكلاً في التعامل مع أشرس وألدِّ أعدائنا، ويصرح علناً، ودون خجلٍ ولا حياء، باستعداده للتمثيل مع الفنانين الصهاينة وبلغتهم العبرية، بكل ما يمثل ذلك من استفزازٍ لمشاعر مئات الآلاف الذين اكتووا ولا يزالون بنار الهمجية والإجرام الصهيونيين، وبدون اكتراث لمشاعر مئات الملايين ممن يحملون القضية الفلسطينية في عقولهم وقلوبهم وتتحرق قلوبهم ألماً مما يرونه من صلف وغطرسة صهيونية, فحسبنا الله ونعم الوكيل!

وفي الأخير لا أملك إلا أن أقول: بئس الفن إن كان سيُخرج أمثال هذه العينة!!

فاطمة فتيح

الله الله في صلاة الفجر

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد بن عبد الله رسوله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: إن من المنكرات التي تقلق الأفكار والأفهام ما نراه هذه الأيام من ترك كثير من الناس لفريضة من أعظم الفرائض... ألا وهي صلاة الفجر.

كثير من الناس غفلوا عن هذا الواجب العظيم في ديننا، فراحوا يقضون لياليهم في القيل والقال، والسهر على المحرمات، والنظر إلى المنكرات، والاستماع إلى أغاني الفاسقين والفاسقات، وزادوا هذا الإثم إثما بترك صلاة الفجر، هذه الفريضة العظيمة!!.

فيا عباد الله، هل وصل بنا الحال إلى الأمن من مكر الله ؟! ماذا قال الله عن أحوال القرى الخالية:

(أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُون. أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحى وَهُمْ يَلْعَبُون . أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُون) الأعراف 97-98-99

وقال تعالى: (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَات أَن يَخْسِفَ اللهُ بِهِم الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُون. أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِين . أَوْ يَأْخُذَهُم عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) النحل45-4746.

فيا أخي في الله اتق الله، واحمد الله على الصحة والعافية، والقوة والنشاط، وتذكر إخوانا لك في القبور تحت التراب، قد فارقوا الأحباب، وواجهوا الحساب، يتمنى الواحد منهم أن لو يرجع إلى الدنيا ليتزود من الأعمال الصالحات! وتذكر إخوانا لك يرقدون على الأسرة البيضاء، ...وأنت الصحيح المعافى، صاحب القوة والنشاط، قد تركت أمر الله، وأعرضت عن دينه وشرعه!!أما تخشى سوء الخاتمة وقد خشيها المتقون الصالحون من سلف هذه الأمة؟! .

هذا مالك بن دينار- رحمه الله - كان يقوم طول ليله قابضا على لحيته ويقول: يا رب، قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، ففي أي الدارين منزل مالك؟!.

وكان سفيان الثوري - رحمه الله - يشتد قلقه من السوابق والخواتيم، فكان يبكي ويقول: أخاف أن أسلب الإيمان عند الموت!!.

فإذا كان هذا حال الصالحين الأبرار، فما حال المقصرين المذنبين، الذين يسهرون على الموبقات، ولا يصلون الفجر حتى تشرق الشمس !! ونقول لهؤلاء: اتقوا الله، وراقبوه، فلربما انقلب الحال، وتغير المآل، فصرتم إلى الحفر المظلمة، والقبور الموحشة، حيث لا أنيس ولا جليس، ولا أزواج ولا أطفال ولا أموال: (ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقُّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ) الأنعام62.

نعم ماذا تقولون لله إذا سألكم عن صحتكم وشبابكم ؟!

تقولون: قضينا صحتنا وشبابنا في إضاعة الصلوات وارتكاب المنكرات !!!.

فيا أخي الكريم الله الله في التوبة والندم على ما فات، واتخذ الأسباب المعينة على أداء صلاة الفجر مع الجماعة، كالنوم الباكر، واستعمال المنبه.... وجاهد نفسك: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) العنكبوت29. وتذكر الأجر العظيم من الله الكريم على حضور صلاة الفجر مع الجماعة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كما ثبت في صحيح مسلم: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله».

وقال صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم أيضا: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله»، يعني في حفظه وتأييده.

فاتق الله ولا تحرم نفسك هذا الخير العظيم، واعلم أن التخلف عن صلاة الفجر صفة من صفات المنافقين، كما صح بذلك الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :«ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا».

فهل ترضى أن تتصف بصفات المنافقين المحادين لله ولرسوله.

فيا أخي الكريم احذر هذا التساهل في هذا الأمر العظيم، فإنه والله خطير، جد خطير. واعلم أن التزامك ومحافظتك على أداء صلاة الفجر مع الجماعة التزام يدل على الإيمان.اللهم هل بلغت... اللهم فاشهد.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

أبو محمد عادل خزرون

ماذا بعد رمضان؟

من الملاحظ أن كثيرا من الناس يقلعون في شهر رمضان عن بعض المخالفات الشرعية التي يفعلونها في غيره، تجاوبا منهم مع ما أشار إليه قول الله تعالى :"يا أيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون " [البقرة 183]

فقوله سبحانه:" لعلكم تتقون"يدل على أن الصيام شرع ليكون وصلة إلى التقى، وسببا من أسباب ترقي الإنسان في درجات الإيمان والاستقامة.

وقد أكدت السنة هذا المعنى في مجموعة من الأحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم:" ليس الصيام من الأكل و الشرب وإنما الصيام من اللغو والرفث".(رواه ابن خزيمة).

فهذه التوجيهات الربانية والنبوية تظهر في سلوك كثير من الناس، حيث يجتهدون في البعد عن المعاصي؛ كالتبرج، وشرب الخمر والدخان، والكذب، وأخذ الرشوة ... ويحافظون على الفرائض، بل منهم من يكثر كذلك من النوافل...

وهذه الإستقامة على طاعة الله هي سبب الفلاح والنجاح للإنسان، وهي واجبة في رمضان وفي غيره، وإنما يستفيد منها من دام عليها وثبت عليها إلى أن يلقى الله وهو محافظ عليها، والأعمال بالخواتيم.

قال الله تعالى :"إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم" [فصلت 30]

قال الزهري: تلا عمر رضي الله عنه "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا "، ثم قال: "استقاموا والله ، لله بالطاعة ولم يروغوا روغان الثعلب" رواه أحمد في الزهد. كما في تفسير القرآن العظيم 98/4.

والمسلم يعبد الله ولا يعبد شهر رمضان، والعاقل لا يهدم ما بنى من الخير.

قال الله تعالى : "ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا " [النحل 82].

فاثبت أخي المسلم على ما أنت عليه من خير من المحافظة على الصلوات في أوقاتها وحضور دروس العلم وغض البصر وحفظ الفرج والتمسك بالسنة ...

وهكذا المرأة المسلمة تحافظ على حجابها وعفتها واستقامتها .... - أما الغافلون الفاسقون فلسان حال الواحد منهم يقول:

رمضان ولى هاتها يا ساقي ♦♦♦ مشتاقة تسعى إلى مشتاق

و العياذ بالله-

وهذه علامة الصدق،ودليل الإيمان،وطريق الإحسان.

فاللهم يا ولي الإسلام و أهله، ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به.

عبد الله القبّاج

حكم ومواعظ

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

حين وفاته قال: "و جاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد"

و قال لعائشة: انظروا ثوبي هذين، فاغسلوهما و كفنوني فيهما، فإن الحي أولى بالجديد من الميت.

و لما حضرته الوفاة أوصى عمر رضي الله عنه قائلا : إني أوصيك بوصية، إن أنت قبلت عني : إن لله عز و جل حقا بالليل لا يقبله بالنهار، و إن لله حقا بالنهار لا يقبله بالليل، وإنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة، و إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه في الآخرة بإتباعهم الحق في الدنيا، و ثقلت ذلك عليهم، و حق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلا، و إنما خفت موازين من خفت موازينه في الآخرة باتباعهم الباطل، و خفته عليهم في الدنيا و حق لميزان أن يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفا.

فضيلة العلم:

قال الشافعي رحمه الله: كفى بالعلم فضيلة أن يدعيه من ليس فيه، ويفرح إذا نسب إليه.

وكفى بالجهل شينا أن يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه.

أشد الأعمال:

قال الشافعي رحمه الله:

أشدّ الأعمال ثلاثة:

الجود من القلّة، والورع في الخلوة، وكلمة الحق عند من يرجى ويخاف.

ما أفلح سمين:

قال الشافعي رحمه الله:

ما أفلح سمين قط، إلا أن يكون محمد بن الحسن.

قيل: ولم؟

قال: لأن العاقل لا يخلو من إحدى خلتين: إما أن يغتم لآخرته ومعاده، أو لدنياه ومعاشه، والشحم مع الغم لا ينعقد، فإذا خلا من المعنيين صار في حد البهائم فيعقد الشحم.

علاج العجب:

قال الشافعي رحمه الله:

إذا أنت خفت على عملك العجب، فانظر: رضا من تطلب، وفي أي ثواب ترغب، ومن أي عقاب ترهب، وأي عافية تشكر، وأي بلاء تذكر، فإنك إذا تفكرت في واحدة من هذه الخصال، صغر في عينك عملك.

وصف الدنيا:

قال الشافعي رحمه الله:

إن الدنيا دحض مزلة، ودار مذلة، عمرانه إلى خراب صائر، وساكنها إلى القبور زائر، شملها على الفرق موقوف، وغناها إلى الفقر مصروف، الإكثار فيها إعسار، والإعسار فيها يسار.

فافزع إلى الله، وارض برزق الله، لا تتسلف من دار فنائك إلى دار بقائك، فإن عيشك في زائل، وجدار مائل، أكثر من عملك، وأقصر من أملك.

عواقب الأمور:

قال الشافعي رحمه الله:

صحة النظر في الأمور، نجاة من الغرور.

والعزم في الرأي، سلامة من التفريط والندم.

والروية والفكر، يكشفان عن الحزم والفطنة.

ومشاورة الحكماء، ثبات في النفس، وقوة في البصيرة.

ففكر قبل أن تعزم، وتدبر قبل أن تهجم، وشاور قبل أن تتقدم.

فضل أصحاب الحديث:

قال الشافعي رحمه الله:

إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث، فكأني رأيت رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، جزاهم الله خيرا، هم حفظوا لنا الأصل، فلهم علينا الفضل.

وقال: عليكم بأصحاب الحديث فإنهم أكثر الناس صوابا.

تسلية وترويح

أمشي وأربح حماراً:

عن محمد الداري قال: كان عندنا رجل بدارا وكان فيه غفلة فخرج من داره ومعه عشرة أحمر، فركب واحداً وعدها فإذا هي تسعة، فنزل وعدها فإذا هي عشرة، فلا زال كذلك مراراً فقال: أنا أمشي وأربح حماراً خير من أن أركب ويذهب مني حمار فرأيته يمشي حتى كاد يتلف إلى أن بلغ قريته.

تواضع عجيب غريب:

عن محمد المخرمي قال: كنا في مجلس فشممت رائحة أنكرتها فنظرت فإذا رجل قد وضع في شاربه عذرة فقلت له: ما هذا قال: تواضعاً لربي عز وجل.

ثلاثة أحاديث:

ذهب أحد الأعراب ليتعلم الحديث النبوى من الإمام سفيان بن عيينة، فلما انقضت مدة سأله الإمام: ما أعجبك أيها الأعرابى من الأحاديث ؟ قال: ثلاثة أحاديث، حديث عائشة رضى الله عنها عن النبي - صلى الله عليه وسلم- (أنه كان يحب الحلوى والعسل)، وحديث (إذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدأوا بالعشاء) وحديث (ليس من البر صوم فى السفر) .

ادعى النبوة :

وادعى النبوة رجل فى زمن المأمون، فسأله المأمون "ما علاقة نبوتك" قال له: إنى أعلم ما فى نفسك ! فقال له: وما الذى فى نفسي؟ قال: فى نفسك أني كاذب ! فأمر المأمون بحبسه فترة ثم أخرجه وقال له: هل جاءك الوحي ؟ قال الرجل: لا، لأن الملائكة لا تدخل السجون ..

مشاكسة شعرية:

مالت مئذنةٌ في زمن ابن حجر والإمام العيني .. فقال ابن حجر العسقلانى :

لجامــع مولانـــا المؤيّــدِ رونــقٌ

منارتُه بالحسنِ تزهــو وبالزيـــن

تقول وقد مالت عن القصد أمهلوا

فليس على جسمى أضرُّ من العين

فغضب الشيخ بدر الدين العينى ، وظنَّ أن ابن حجر يعرّض به ، فاستعان بالنواجي الأبرص ، فنظم له بيتين معرضاً بابن حجر ونسبهما العيني لنفسه .. يقول البيتان :

منارةٌ كعروسِ الحسن إذ جليت

وهدمها بقضاءِ الله والقـــــدر

قالوا أُصيبت بعين قلتُ ذا غـلط

ما أوجب الهدم إلا خسّة الحـجر

شعر تستحق أمُ قائله الطلاق:

عن الصولي قال: كان لمحمد بن الحسن ابن فقال له: إني قد قلت شعراً قال: انشدنيه قال: فإن أجدت تهب لي جاريةً أو غلاماً قال: أجمعهما لك.

فأنشده: مجزوء الكامل:

إن للديار طيفــا هيجن حــزناً قد عفا

أبكينني لشقاوتي وجعلن رأسي كالقفا

فقال: يا بني والله ما تستاهل جاريةً ولا غلاماً ولكن أمك مني طالق ثلاثاً إذا ولدت مثلك.

أضـــف إلى معلومـاتك

ـ معلومات قرءانية

هل تعلم أن: عدد الآيات القرءان هو 6348 وهذا العدد يتكون من الآيات كلها بما فيها البسملة لأن البسملة تعتبر آية من آيات القرآن الكريم .

هل تعلم أن: سورة النمل تحتوي على بسملتين؟

هل تعلم أن: عدد السور المكية 86 آية؟

هل تعلم أن: عدد السور المدنية 28 آية؟

هل تعلم أن: السور التي يطلق عليها الطواسين هي ثلاث سور وهي: سورة الشعراء، وسورة النمل، وسورة القصص، وأطلق هذا الإسم عليهم لأن السورتين الأوليين تبتدئان بالحروف ((طسم))، والأخيرة تبدأ بالحروف ((طس))، فلوجود هذان الحرفان الطاء والسين سميت بهذا الإسم .؟

هل تعلم أن: أطول سورة في القرآن الكريم هي سورة البقرة، وأقصر سورة هي سورة الكوثر؟

هل تعلم أن: أقسام السور هي: السبع الطوال، المئون، المثاني، المفصل؟

هل تعلم أن: القرآن نزل تبيانا لكل شيء: ((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ))؟ ومن الجميل أن تبيانه لكل شيء يشمل تبيانه لنفسه .

ـ فوائد صحية

من فوائد الشاي

هل تعلم أن شرب أربعة أو خمسة أكواب من الشاي يومياً يمكن أن يقلل من احتمالات الإصابة بالسكتة القلبية بنسبة تصل إلى 69%؟

هل تعلم أن الشاي يحتوي على مادة (الفلافونويد) وهي مادة ثبت أنها تحارب سرطانات الرئة والقولون والجهاز الهضمي والثدي؟

هل تعلم أن الأشخاص الذين يشربون كوباً أو أكثر من الشاي يومياً تقل لديهم احتمالات الإصابة بالأزمات القلبية عن غيرهم؟

هل تعلم أن الشاي هو مصدر غني من مصادر المغنيسيوم (الذي يساعد في تقوية العضلات) وكذلك البوتاسيوم الذي يساعد في تخفيض ضغط الدم، والزنك المفيد في علاج حب الشباب؟

هل تعلم أن الشاي مصدر لمادة (الفلورويد) وشرب كوبين ونصف كوب من الشاي يومياً يضيف مقدار 1.3 ملي جرام من الفلورويد إلى النظام الغذائي وذلك يساعد في تفادي تسوس الأسنان؟

تقوى الله

من كلمات السلف في التقوى

قال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ:" المتقون الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدي، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به".

وقال الحسن ـ رحمه الله ـ:" المتقون اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما افترض الله عليهم".

وقال عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ:" ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فمن رزق بعد ذلك خيرا فهو خير إلى خير".

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال:" تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما يكون حجابا بينه وبين الحرام فإن الله قد بين للعباد الذي يصيرهم إليه فقال (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) فلا تحقرن شيئا من الخير أن تفعله ولا شيئا من الشر أن تتقيه".

وقال الحسن ـ رحمه الله ـ:" ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام".

وقال موسى بن أعين ـ رحمه الله ـ:" المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أن يقعوا في الحرام فسماهم الله متقين".

وقال ميمون بن مهران ـ رحمه الله ـ:" المتقي أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه"،

وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ :" في قوله تعالى" اتقوا الله حق تقاته" قال أن يطاع فلا يعصي ويذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر".

وذكر معروف الكرخي ـ رحمه الله ـ:" عن بكر بن خنيس ـ رحمه الله ـ قال: كيف يكون متقيا من لا يدري ما يتقي ثم قال معروف الكرخي إذا كنت لا تحسن تتقي أكلت الربا وإذا كنت لا تحسن تتقي لقيتك امرأة ولم تغض بصرك وإذا كنت لا تحسن تتقي وضعت سيفك على عاتقك".

وكتب عمر رضي الله عنه إلى ابنه عبدالله رضي الله عنه أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل فإنه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه ومن شكره زاده واجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك".

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى رجل أوصيك بتقوى الله عز وجل التي لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها ولا يثيب إلا عليها فإن الواعظين بها كثير والعاملين بها قليل جعلنا الله وإياك من المتقين".

وقال رجل ليونس بن عبيد أوصني فقال أوصيك بتقوى الله والإحسان فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقال له رجل يريد الحج أوصني فقال له اتق الله فمن اتقى الله فلا وحشة عليه".

وكتب رجل من السلف إلى أخ له:" أوصيك بتقوى الله فإنها من أكرم ما أسررت، وأزين ما أظهرت وأفضل ما ادخرت، أعاننا الله وإياك عليها وأوجب لنا ولك ثوابها".

وقال شعبة:" كنت إذا أردت الخروج قلت للحكم: "ألك حاجة فقال أوصيك بما أوصَى به النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن".

انظر "جامع العلوم والحكم" لابن رجب ـ رحمه الله ـ 170-171-173172.

مقدمة:

من أراد دوام العافية فليتق الله في الليل والنهار، وفي الخلوة والجهار، فبذلك يكون العبد من عباد الله الأخيار، ويصير في وقاية من النار، ودرجة عالية مع المتقين بدار القرار.

قال ابن الوردي – رحمه الله – في لاميته:

واتق الله فتقوى الله مـــا* جاورت قلب امرئ إلا وَصلْ**
ليس من يقطع طرقا بطلا* إنما من يتقي الله البـــطل**

والتقوى وصية الله لكل الناس، ومن عري منها فهو من أهل الإفلاس، فهي الأساس وخير لباس.

قال بعضهم لشيخه: أوصني، قال: أوصيك بوصية رب العالمين للأولين والآخرين، وهي قوله تعالى:(ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) النساء 131.



وقال تعالى: (يا بني ءادم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من ءايات الله لعلهم يذكرون) الأعراف 26.

قال بعضهم:

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى * تقلب عريانا وإن كان كاسيا**
وخير لباس المرء طاعة ربــه* ولا خير في من كان لله عاصيا**

التقوى لغة وشرعا:

والتقوى أصلها (وَقُويٌ) من الوقاية، فأبدلوها من الواو الأولى تاء، وأبدلوا من الواو الثانية ياء، وأدغموها في الياء بعدها "لسان العرب"403/15.

وهي كلمة تدل على دفع شيءٍ عن شيء بغيره، والوقاية ما تقي الشيء، واتق الله، توقَّه، أي اجعل بينك وبينه كالوقاية. "مقاييس اللغة"131/6.

وبذلك يعلم أن معناها أن يجعل بينه وبين ما يخشى من ربه، من غضبه وسخطه وعقابه وقاية من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معصيته.

وقد يغلب استعمال التقوى على اجتناب المحرمات كما قال أبو هريرة – رضي الله عنه – وسئل عن التقوى فقال: هل أخذت طريقا ذا شوك؟ قال: نعم، فقال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عزلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه. قال: ذاك التقوى.

وأخذ هذا المعنى ابن المعتمر فقال:

خل الذنوب صغيرها * وكبيرها فهو التقى**
واصنع كماش فوق أر * ض الشوك يحذر ما يرى**
لا تحقرن صغيرة * إن الجبال من الحصى**

"جامع العلوم والحكم" لابن رجب ـ رحمه الله – 171.

وأجمع ما قيل في معنى التقوى قول طلق بن حبيب – رحمه الله –، قيل له: صف لنا التقوى، فقال: العمل بطاعة الله، على نور من الله، رجاء ثواب الله، وترك معاصي الله، على نور من الله، مخافة عذاب الله.

قال الذهبي – رحمه الله – معلقا:" قلت: أبدع وأوجز، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بترو من العلم والاتباع، ولاينفع ذلك إلا بالاخلاص لله، لا ليقال: فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إن المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفا من الله، لا ليمدح بتركها، فمن داوم على هذه الوصية فقد فاز". (السير)601/4).

درجات التقوى:

ـ والتقوى ثلاث درجات:

– إحداها: حِمية القلب والجوارح عن الآثام والمحرمات.
– الثانية: حميتها عن المكروهات.
– الثالثة: الحمية عن الفضول وما لا يعني.

فالأولى تعطي للعبد حياته، والثانية تفيده صحته وقوته، والثالثة تكسبه سروره وفرحه وبهجته"(فوائد الفوائد 459).

فوائد التقوى:

لتقوى الله عز وجل فوائد كثيرة:

منها: الحفظ والحراسة من الأعداء لقوله تعالى:(وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا).

ومنها : إصلاح العمل وغفران الذنوب لقوله تعالى:(اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم).

ومنها: المحبة، لقوله تعالى:(فإن الله يحب المتقين).

ومنها: الإكرام، لقوله تعالى:(إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

ومنها: البشارة عند الموت لقوله تعالى:(الذين ءامنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة).

ومنها: النجاة من النار لقوله تعالى:(ثم ننجي الذين اتقوا).

ومنها: الخلود في الجنة لقوله تعالى:(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين).

ومنها: النجاة من الشدائد وحصول الرزق الحلال لقوله تعالى:(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب).

وأخيرا:

قال الذهبي ـ رحمه الله ـ : يزيد بن أبي حبيب الإمام الحجة، مفتي الديار المصرية، أبو رجاء الأزدي، مولاهم المصري، وقيل: كان أبوه سويد مولى إمرأة مولاة لبني حسل، وأمه مولاة لتُجيْب.

وهو من صغار التابعين وكان من جلة العلماء العاملين، ارتفع بالتقوى مع كونه مولى أسود". اهـ السير 31/6.

قال بعضهم:

من عرف الله فلم تغنه *** معرفة الله فذاك الشقي
ما يصنع البعض بغير التقى *** والعز كل العز للمتقي

إعلان إلى القراء الكرام:

تعلن السبيل أنها خصصت صفحة منبرا للقراء الذين يرغبون في إبداء آرائهم ونشر إسهاماتهم، على أن تنضبط هذه الأخيرة بالشروط التالية:
ـ أن لا تخالف قوانين البلاد أو تمس بالمقدسات والثوابت.
ـ أن لا تتضمن ما يخالف تعاليم الدين الإسلامي .
ـ أن تجتنب السب و القذف.
ـ أن لا يتعدى حجم الموضوع 500 كلمة.
ـ أن يكتب على المقالات عبارة«منبر القراء».
البريد الإلكتروني Assabil1@yahoo.fr

جريدة السبيل

جريدة أسبوعية مستقلة شاملة
تصدر مرة في الشهر مؤقتا
الإيداع القانوني:2005/0096
ملف الصحافة: 2 ن د 2004

رئيس التحرير:
إبراهيم الطالب

هيئة التحرير :
رشيد مومن الإدريسي
نبيل غزال
علي نجم
الهاتف: (037) 78-17-17
البريد الإلكتروني
Assabil1@yahoo.fr